الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

أثر السياق في التركيب القرآني

من خلال كتاب: البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت ٥٠٥ هـ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات البلاغية

إعداد الطالبة:
فضيلة عظيمي

إشراف الأستاذ الدكتور:
رابح دوب

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس	ذهبية بورويس	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
المشرف والمقرر	رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
العضو	أحمد غرس الله	أستاذ محاضر	جامعة منتوري
العضو	صالح خديش	أستاذ محاضر	جامعة منتوري

السنة الدراسية: 2006-2007م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعدّ النّظرية السّياقية أحد أهمّ النظريات اللّغوية التي لها الأثر البالغ والتّأثير الكبير في مجال الدّرس اللّغوي الحديث، حيث إن الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة أكّدت هذه الأهمية بل إن إحدى المدارس قد انبنت بحوثها على فكرة السياق، وهي المدرسة الإنجليزية، على أن تراثنا اللغوي العربيّ قد تضمّن كثيرا من المباحث ذات الصلة الوثيقة بالسياق ويظهر هذا في مجالات مختلفة:كاللّغة والنحو والبلاغة والنقد الأدبي وبحوث الفقه والتفسير وعلوم القرآن، حيث كان السياق وسيلة هامة في التفسير والتأويل وبيان دلائل الإعجاز.

وفي مجال علوم القرآن يبرز جانب وثيق الصّلة بقضية السياق؛ وهو الجانب المتعلق بمتشابهات القرآن أي: الآيات والتراكيب التي تتشابه فيه، وهي ظاهرة جديرة بالدراسة والاهتمام لما تلقيه من أضواء على النّص القرآني نفسه، ولما لها من أبعاد تتصّل بالدرس اللّسانّي الحديث، حيث إننا وجدنا القدماء قد تناولوا بالتأويل ، متشابهات القرآن و ما بينها من فروق، معتمدين على منهج واضح في ذلك هو:المنهج السياقي فأردت أن أبرز معالم هذا المنهج وتجلّياته عندهم من خلال كتاب (البرهان في توجيه متشابه القرآن) للكرماني (ت 505هـ) وهو كتاب حوى العديد من لطائف التعبير القرآني ودقائق تفسيره، وانبنى في الأساس على فكرة السياق باعتباره عاملا هامّا في تعليل الفروق بين متشابهات القرآن ، وهذا ما حاولت استجلاءه من خلال بحثي الموسوم بـ:

أثر السياق في التركيب القرآني من خلال كتاب:البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني.

فالكتاب بعنوانه يشير إلى محتواه، فهو محاولة لرصد الآيات المتشابهة في القرآن الكريم مع البحث في سبب اختلافها وفائدتها وحكمتها، أي أن التّشابه هنا لا يعني غموض الدّلالة، وإنّما يعني التّماثل بين التراكيب مع وجود اختلاف ما بينها.

وعلى العموم فإنّني أردت من خلال هذا البحث الإجابة على جملة من الأسئلة أذكر منها:

- ما هو وجه الإعجاز في الآيات المتشابهة ؟
- هل كان القدماء يصدرون عن منهج واضح في تعليل المتشابهات؟
- ما هي أوجه الاختلاف بين الآيات المتشابهات؟

وتأتي أهمية البحث في هذا الموضوع من كونه يكشف عن بعض خصائص الأسلوب المتميّز للنّص القرآني، ولكون موضوع المتشابهات وجها من وجوه الإعجاز القرآني ذا علاقة وثيقة بقضية النظم التي تعدّ من أبرز خصائصه، ويتجلّى ذلك من خلال العناصر التي تدخل في تكوينه والتي لا

تخلو منها هذه المتشابهات كالتقديم والتأخير والحذف والذكر والتذكير والتأنيث والتنكير والتعريف والإفراد والجمع...

أمّا الهدف من هذا البحث فيكمن في أنّه محاولة للكشف عن ملامح نظرية السياق في كتب الدراسات اللغوية القديمة، و تطبيقاتها في تفسير القرآن وتأويله خاصة.

ولما كان أي موضوع لا يخلو من الأسباب التي تدفع الباحث إلى اختياره، فإنّ أسباب اختياري لهذا الموضوع يمكن أن أجملها في النقاط الآتية:

- ميلي إلى البحث في مجال القرآن وعلومه.
- عدم وجود بحث في الموضوع المختار، وهذا في حدود اطلاعي.
- محاولة استعراض مواقف العلماء من ظاهرة الآيات والتراكيب المتشابهة .
- محاولة ربط الدراسات القرآنية القديمة بالاتجاهات والمناهج اللغوية الحديثة.

هذا وإن كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن هو من بين أهم الكتب التي تناولت موضوع الآيات والتراكيب المتشابهة بالتحليل وتعليل ما بينها من اختلاف؛ فإلى جانبه نجد على سبيل المثال لا الحصر: كتاب درّة التنزيل وغرّة التأويل المنسوب إلى أبي عبد الله الرّازي المعروف بالخطيب الإسكافي،وكتاب ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، وكتاب كشف المعاني في متشابه المثاني للقاضي بدر الدين بن جماعة.

وقد نهجت في هذا البحث منهجا وصفيا لاسيما في الفصل النظري، ثم أضحى هذا المنهج تحليليا للآراء والقضايا التي يطرقها،كما يظهر ذلك أيضا في الفصلين التطبيقيين، من خلال وصف الظواهر الخلافية بين التراكيب المتشابه وتحليلها، بغية الكشف عن الجوانب السياقية التي تعلّل الاختلاف.

أما فيما يتعلق بتقسيم البحث، فقد جعلته في مدخل وثلاثة فصول إضافة إلى المقدمة والخاتمة وذلك وفق التفصيل الآتي:

المدخل: إعجاز النظم وعلاقته بمتشابهات القرآن: وتناولت فيه مفهوم الإعجاز في اللغة وفي الاصطلاح،كما عرضت فيه لوجوه الإعجاز القرآني، و أبرزها الوجه المتعلق بالنظم وعلاقته

بمتشابهات القرآن وعلاقة هذا كله بالسياق، ثمّ ذيّلت المدخل بحديث موجز عن السياق و حضوره في بعض أعمال اللسانيين المحدثين.

الفصل الأول: السياق في التراث العربي؛ ويحوي أربعة مباحث تناولت فيها السّياق عند كلّ من اللغويين والنحاة والبلاغيين والمفسّرين، بوصف منهجهم ونظرتهم إلى اللغة والدّلالة بما يكشف عن اهتمامهم بالسياق ومفهومه عندهم وتعويلهم عليه.

الفصل الثاني: أثر السياق في البنية الإفرادية، ويضمّ مبحثين:

المبحث الأول: المتغيرات الصرفية؛ ويعرض أهمّ العناصر اللغوية الصرفية الخلافية بين المتشابهات وهي: الأداة والصيغة والعدد والتعيين والنوع.

المبحث الثاني: المتغيرات المعجمية؛ ويتناول أبرز العناصر اللغوية المعجمية الخلافية بين المتشابهات وهي: إبدال فعل بفعل، وإبدال اسم باسم، وإبدال اسم بضمير، واختلاف الفاصلة.

الفصل الثالث: أثر السياق في البنية التركيبية،وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التقديم والتأخير؛ ويعرض لاختلاف المتشابهات من حيث ترتيب ألفاظها.

المبحث الثاني: الحذف والذكر؛ ويعرض لاختلاف المتشابهات بحذف لفظ أو مجموعة ألفاظ من تركيب وذكرها في التركيب المشابه . ونخلص في كلّ مبحث من مباحث هذين الفصلين إلى أن السياق – بنوعيه– هو العامل الأساس الذي يحكم الاختلاف بين المتشابهات.

أما الخاتمة؛ فتضمّنت خلاصة النتائج التي توصلت إليها خلال البحث.

وقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع في الجزء النظري أهمها:

كتب علوم القرآن: منها البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان في علوم القرآن، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.

كتب التفسير: منها تفسير القرطبي، وأضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي والفتاوى لابن تيمية.

كتب الإعجاز: منها النّكت في إعجاز القرآن للرماني، وبيان إعجاز القرآن للخطابي، ودلائل الإعجاز للجرجاني .

كتب البلاغة: منها البيان والتبيين للجاحظ، وأسرار البلاغة للجرجاني، و كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، والمدخل إلى دراسة البلاغة لفتحي فريد، وعلوم البلاغة لمصطفى المراغي.

كتب اللغة: منها الخصائص لابن جني، و المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي و الأضداد لابن الأنباري، والإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري وفقه اللغة وخصائص العربية لمحمد المبارك.

المعاجم: منها لسان العرب لابن منظور، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، وأساس البلاغة للزمخشري.

أما في الجانب التطبيقي، فقد كان كتاب البرهان للكرماني محور الدراسة، مع الاستعانة – في بعض الأحيان– بكتاب ملاك التأويل لابن الزبير الثقفي و كتاب كشف المعاني في متشابه المثاني لبدر الدين بن جماعة ، وكتاب فتح الرحمن لأبي يحي زكريا.

و بعد؛ فلست أزعم أنّني جئت بما لم يستطعه الأوائل، وإنّما ظنّي أنّني تناولت هذا الموضوع تناولا جادّا، فما كان ذلك إلا بتوفيق من الله وبنعمة منه وفضل، وتوجيه من أستاذي القدير المشرف الأستاذ الدكتور رابح دوب، فله مني جزيل الشكر، و لله الحمد والمنّة كما يليق به سبحانه على ما أعان ووفق وفتح وسدد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخـــل:

إعجاز النظم وعلاقته بمتشابهات القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لا خلاف في أنّ القرآن الكريم هو كلام الله المعجز، وهو المعجزة الخالدة التي اختصّ بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – فكانت البرهان السّاطع على صدقه وصحّة نبوته، نزل فكان حجّة بلاغية، وتحدّى العرب والناس كافة، بل الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، قال تعالى: (**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**) (الإسراء:88)، ذلك أن الإعجاز في القرآن الكريم قد بلغ الغاية التي يستحيل على العرب – وهم أهل البلاغة والفصاحة – أنْ يُجاروها أو يستجيبوا لذلك التحدّي.

والإعجاز في اللغة مصدر الفعل (أَعْجَزَ)، وجذره الفعل (عَجَزَ)، وقد جاء في معجم مقاييس اللّغة لابن فارس (395 هـ) مادة (عَجَزَ): أنّ " العين والجيم والزّاء أصلان صحيحان، يدّل أحدهما على الضّعف ... فالأوّل عَجَزَ عن الشيء يَعْجِزُ عَجْزًا، فهو عاجزٌ أي ضعيف" [1].

فالعجز إذن، يدلّ على الضّعف وعدم القدرة على الشيء، قال تعالى على لسان ابن آدم: (**أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي**) (المائدة 31)، أي : أضعُفت أن أكون مثل هذا الغراب ...

وبناءً على هذا المعنى اللّغويّ للفظة (عَجَزَ) جاء مصطلح الإعجاز، ومعناه عند البلاغيين: " أَنْ يُؤَدَّى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق" [2] على نحوٍ يَعْجِزُ البشر عن الإتيان بمثله، وعليه تكون مرتبة الإعجاز أعلى مراتب البلاغة.

أما إعجاز القرآن فمعناه: " ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرّأي الصحيح" [3]، أي إثبات عجزهم عن معارضته والإتيان بمثله، وليس المقصود من إعجاز القرآن " هو تعجيز البشر لذات التعجيز، أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن ... وإنّما الغرض إظهار أنّ هذا الكتاب حقّ وأنّ الرسول الذي جاء به رسول صادق، وهكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام ..." [4].

---

(1) ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، ، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت ، لبنان، 1422هـ - 2002م، مادة (عجز)، ص 712.

(2) الجرجاني، الشريف بن محمد بن علي الحسيني: التعريفات، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ، دار الكتب العلمية ،ط2، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م ، ص 47.

(3) الكفوي ،أبو البقاء: الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ، مؤسسة الرسالة، ط1، 1412هـ -1995م ، ص 149.

(4) الصابوني، محمد علي: التبيان في علوم القرآن، ، دار البعث، ط3، قسنطينة، 1407هـ- 1972م، ص 89.

وخصيصة الإعجاز من أبرز الخصائص التي تميّز بها القرآن الكريم عن سائر ما عداه من النصوص، وهذه الحقيقة قد أجمع العلماء على صحّتها و لم يختلفوا فيها، وإنما كان اختلافهم في وجوه هذا الإعجاز؛ أين وقع ؟ وهل القرآن معجز بلفظه أم بمعناه ؟ أم بكليهما ؟ أم وقع الإعجاز بصرف الناس عن الإتيان بمثله؟ أم أنّه كان بكلّ هذه الأمور مجتمعة؟...وقد كانت هذه القضية – ولا زالت – محلّ البحث والدراسة من قبل العلماء الذين اعتنوا بها وألّفوا فيها المؤلفات وأفردوها بالتصنيف [1]، ومن أشهر تلك الوجوه وأبرزها :

الرأي القائل: إنّ " العلّة في إعجازه الصّرفة "[2]، وهو قول أبي إسحاق إبراهيم النظّـــام (ت 231هـــ)، والمعنى أنّ " الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورًا لهم، لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات " [3].

غير أنّ التّسليم بهذا الرأي يجعل أسلوب النص القرآني غير متميزّ عن باقي الأساليب، وفي هذا يقول أحد الباحثين: إنّ " القول بالصّرفة علّة للإعجاز يجعل أدبيّة القرآن أمرًا تعليميا مُدركا، وفي مكنة الممارسات الإنشائية في حقل الإبداع أن تضارعه أو تساميه فنّيا " [4]، وعلى هذا فإنّ الإعجاز حينئذ لا يرجع إلى أمر في ذات القرآن وإنّما إلى شيء خارج عنه، ولكنّ آية التّحدّي السابقة تدّل دلالة واضحة على عجز البشر " مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم" [5].

وعلى العموم، فإن هذا الرأي في الإعجاز قد أبطله العلماء – قديما وحديثا – ونقدوه بالأدّلة والبراهين...

وهناك الرّأي القائل: إنّ الإعجاز " شيء لا يمكن التّعبير عنه" [6]، وهو اختيار السكّاكي (ت 626 هـــ)، حيث يقول: " واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة

---

(1) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبـــراهيم، دار الجيـــل، د ط، بيروت، لبنان، 1408هـــ - 1988م، ج2، ص 90 .

(2) الخطابي،حمد بن محمد: بيان إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف، ط4، مصر، د ت، ص 22 .

(3) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 93، 94 .

(4) عشراتي، سليمان: الخطاب القرآني (مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي)، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، 1998م، ص17 .

(5) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 94 .

(6) الزركشي: المصدر نفسه، ج2، ص 100.

الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة..." [1]، وقد ربطه بمسألة الذّوق حيث يقول:" وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين" [2]، يقصد علم المعاني وعلم البيان.

وهذه النظرة في الإعجاز عند السكاكي كما نرى تعتمد على الذوق وعلى " الإدراك الروحاني أكثر من اعتمادها على التعليلات التي أوردها كثير من العلماء، وهذا ما يحمد للسكاكي الذي عاش في زمن تحكّم المنطق فيه، وأخذت النظرة العلمية تطغى في التعليل والتفسير " [3].

وإذا كان مذهب السكاكي في أنّ الإعجاز يرجع إلى إدراكه وعدم إمكانية وصفه، فإن الخطابي (ت 688هـ) قبله قد أورد في رسالته رأيا لطائفة من العلماء ترى أنّه لا يمكن تصوير إعجاز القرآن " ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام، وإنّما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده " [4]، فالإعجاز عندهم واقع في القرآن و لكن يصعب تعليله، وحجّتهم في ذلك أنهم:" قالوا:...قد يخفى سببه عند البحث ويظهر أثره في النفس حتى لا يلتبس على ذوي العلم والمعرفة به...، وقد يوجد لبعض الكلام عذوبة في السمع وهشاشة في النفس لا توجد مثلها لغيره منه، والكلامان معاً فصيحان، ثمّ لا يُوقف لشيء من ذلك على علة " [5]، لكنّ هذا المذهب في رأي الخطابي " لا يقنع...ولا يشفي من داء الجهل به، وإنما هو إشكال أُحيل به على إبهام" [6].

وإذا كانت الآراء السابقة تستند إلى أمور خارجة عن القرآن للدّلالة على إعجازه، فإن الخطابي يرى أن البحث عن سرّ تلك الخصيصة يجب أن يكون من النّص القرآني نفسه لا من خارجه، يقول " وقد استقرينا أوصافه الخارجة عنه وأسبابه النّابتة منه فلم نجد شيئا منها يثبت على النظر أو يستقيم في القياس ويطّرد على المعايير، فوجب أن يكون ذلك مطلوبا من ذاته أومستقصى

---

(1) السكاكي ،أبو يعقوب يوسف محمد بن علي:مفتاح العلوم، تحقيق:عبد الحليم هنداوي ، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت، لبنان، .142، هـ- 2000م،ص526.

(2) السكاكي:المصدر نفسه، ص 526.

(3) مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ،ط2 ،1996 م ،ص 148 .

(4) الخطابي : بيان إعجاز القرآن، ص 24.

(5) الخطابي: المصدر نفسه، ص 24.

(6) الخطابي: المصدر نفسه،ص 24.

من جهة نفسه " [1]. وهنا يمكننا أن نميّز بين أمرين في الإعجاز أحدهما يتعلّق بمضمون القرآن والآخر يتعلّق بأسلوبه.

فالإعجاز المتعلّق بالمضمون نقصد به: ما أخبر به القرآن من المغيّبات المستقبلية وقصص الأمم الغابرة وما تضمّنه من تشريع للأحكام... وللعلماء في هذا الشأن أقوال:

فقد ذهب الرّماني (ت384 هـ) إلى أن الإعجاز يظهر من بين ما يظهر فيه في " الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية " [2]، ثمّ يشرح هذا بقوله: " فإنه لمّا كان لا يجوز أن تقع على الاتّفاق دلّ على أنّها من عند علاّم الغيوب " [3]، ويضرب لذلك العديد من الأمثلة في القرآن الكريم.

كما أنّ للباقلاني (ت 403 هـ) قولاً في هذا المعنى حيث يذكر أن إعجاز القرآن يقوم على عدة أمور من بينها تضمّنه " الإخبار عن الغيوب وأنّه...أتى بجملة ما وقع من عظيمات الأمور ومهمّات السير..." [4].

أمّا الإعجاز المتعلّق بالأسلوب فنقصد به: ما انطوى عليه القرآن من النّظم البديع والبلاغة الرّاقية والأسلوب المحكم، ويمثّل هذا الاتجاه أهمّ الآراء في الإعجاز والأساس الذي انبت عليه مباحث البلاغة العربية بعلومها المختلفة؛ المعاني والبيان والبديع، وأشهر نظرية بلاغيّة فسّرت الإعجاز من هذه الوجهة هي نظرية النظم التي اشتهر بها عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) .

وقضية النظم من أهمّ القضايا التي استرعت انتباه البلاغيين القدماء والدراسيين المحدثين، وقد كانت " نقطة التقاء بين علوم اللغة والبيان المتّصلة بإعجاز القرآن من جهة، وبين علم الكلام من جهة ثانية، كما كانت محور الخلاف الذي دار بين فرق المتكلّمين وفي مقدمتها فرقتا المعتزلة والأشاعرة حول إعجاز القرآن " [5]، ولهذا يرى بعض الباحثين أن فكرة النظم هذه، قد تناولها علماء البلاغة وإعجاز القرآن قبل الجرجاني؛ فمصطفى صادق الرّافعي – في سياق حديثه عن

---

(1) الخطابي: المصدر السابق، ص 26

(2) الرّماني، علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن ، ص 75.

(3) الرّماني: المصدر نفسه ،ص 110.

(4) الباقلاني ،محمد بن الطّيب: إعجاز القرآن، دار ومكتبة الهلال ،ط1 ،بيروت، 1993، ص 33 – 35 .

(5) أبو زيد، أحمد: النظم اللغوي بين المعتزلة والأشاعرة، دار الأمان، ط1، الرباط، 1409هـ – 1989م، مقدمة المؤلف، ص 3.

الأقوال في الإعجاز – ذهب إلى أنّ " أوّل من جوّد الكلام في هذا المذهب وصنّف فيه أبو عبد الله بن محمد بن يزيد الواسطيّ المتوفى سنة (306 هـ) " [1].

أما شوقي ضيف فيرى أنّ الجاحظ (ت 255هـ) هو أوّل من وضع اصطلاح النظم وعلّل به إعجاز القرآن، وأنّ الأشاعرة بعد ذلك تمسكوا به [2]، كما ذهب إلى أنّ عبد القاهر استمدّ مادته الأولى في النظم من كتاب للقاضي عبد الجبّار المعتزلي (ت 415هـ) هو: كتاب إعجاز القرآن، وهو الجزء السادس عشر من كتاب: المغني في أبواب التوحيد والعدل [3].

غير أنّ هناك من الباحثين من يخالف الرأي في أن يكون الجرجاني قد استوحى مفاتيح نظريته من خصومه المعتزلة، ويرى " أنّ نظرية النظم بمفهومها الأشعري هي التي وضعها عبد القاهر الجرجاني، وقد يكون استمدّ آراءه فيها من كتب النحو واللغة التي استوعبها وأفاد منها " [4].

وأيًّا مَا كان الخلاف حول هذه القضية، فإنّ الذي نراه ونطمئنّ إليه أنّ الجرجاني هو الذي أرسى قواعد هذه الفكرة، وأخرجها إلى الوجود نظريةً قائمةً بذاتها، تَلَقَّفَهَا – من بعده – علماء البلاغة والإعجاز بالقبول والتبنّي.

وإذا عدنا إلى معنى النّظم في اللغة، فنجده في معجم مقاييس اللغة: " يدلّ على تأليف شيء وتكثيفه "[5]، وفي اللّسان : " النَّظْمُ: التّأليف، نَظَمَهُ يَنْظِمُهُ نَظْمًا ونِظَامًا ونَظَّمَهُ فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ، وتَنَظَّمْتُ اللّؤلؤ أي: جمعته في السّلك، والتّنظيمُ مثله، ومنه: نَظَمْتُ الشّعر نَظّمْتُهُ ... ولكلّ شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نَظَمْتَه " [6].

أما في الاصطلاح فهو: " تأليف الكلمات والجمل مرتّبة المعاني متناسبة الدّلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل " [7].

---

(1) الرافعي ،مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ، دار الكتاب العربي ،د ط، بيروت ، لبنان، 1424هـ – 2004م، ص 103.

(2) ضيف ،شوقي: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط6، مصر، القاهرة، د ت، ص 161.

(3) ينظر: ضيف، شوقي: المرجع نفسه، ص 114-117.

(4) أبو زيد ،أحمد: النظم اللغوي بين المعتزلة والأشاعرة ، مقدمة المؤلف، ص 4.

(5) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (نظم)، ص 996.

(6) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف، د ط، القاهرة، د ت، مادة (نظم)، ج6، ص 4469.

(7) الجرجاني: التعريفات، باب النون، ص 238.

على ضوء التّعريفات السابقة يمكن أن نستنتج أنّ النظم إذا كان معناه في اللّغة يدّل على مطلق الجمع والتأليف للأشياء، فإنّه في الاصطلاح؛ يدّل على معنى الجمع والتأليف بين الكلمات بطريقة مخصوصة تقتضي حسن التركيب بما يوافق السياق الذي ترد فيه، وهذا هو لبّ نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، إذ يرى أن لا تفاضل بين الكلمات خارج السياق الذي ترد فيه، " وهل يقع في وهم – وإنْ جهد – أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكانٍ تقعان فيه من التأليف والنظم ... وهل تَجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها " [1].

ويؤكّد هذا في موضع آخر حيث يقول: إنّ " الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة ولا من حيث هي كلم مفردة، وإنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك ممّا تعلّق له بصريح اللفظ " [2].

فنلاحظ كيف أن للسياق – في نظر الجرجاني– الأهمية البارزة في الحكم على فصاحة اللفظة أو خلافها، فهذه لا يمكن أن توصف بها الألفاظ مفردةً مجرّدةً إلا ضمن السياق الذي تنتظم فيه معانيها، وهو الأمر الذي لم يتردّد الجرجاني في تأكيده وإعادة شرحه في كلّ مرّة.

إذن، فنظرية النظم تنبني –أساسا– على فكرة السياق حيث إن علم المعاني الذي تُشكّلُ هذه النظرية نواة مباحثه، إنّما يقوم على إظهار التّناسب والتوافق بين التراكيب وسياقاتها المختلفة، وهذا المبدأ في النظرية تحقّقه الآيات والتراكيب القرآنية، وإذا كان علم المعاني يقوم على دراسة التراكيب في حالات مختلفة،كالتقديم؛ والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والذكر والوصل والفصل ... فإنّ هذه المباحثَ نَفْسها يمكن أن تُعالج على أساسها الآيات والتراكيب المتشابهة في القرآن الكريم أو ما يعرف بـــ: متشابهات القرآن.

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (شبه): " الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبيه: المِثْلُ، والجمع أشباه، وأَشْبَهَ الشَيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ... والمُتَشَابِهَاتُ: المتماثلات" [3]. وفي التنزيل: (مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ)(الأنعام: من الآية99) ، فالتشابه – بناء على هذا التعريف– هو التّماثل بين الشيئين.

---

(1) الجرجاني ،عبد القاهر : دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان مَهَنَا ، مكتبة الإيمان، د ط، المنصورة، د ت، ص 78.

(2) الجرجاني: المصدر نفسه، ص 79.

(3) ابن منظور: لسان العرب، مادة (شبه)، ج4، ص 2189.

أمّا المتشابهات في القرآن الكريم فالمقصود منها: الآيات والتراكيب المتماثلة الألفاظ التي تكرّرت فيه مع وجود اختلاف فيما بينها من زيادة أو نقص أو تقديم أو تأخير ... وهي تندرج ضمن ما يُسمى: علم الآيات المتشابهات ومعناه: " إبراز القصة الواحدة في صور شتّى، وفواصل مختلفة، بأن تأتي في موضع مقدّما وفي آخر مؤخرًا، أو في موضع بزيادة وفي موضع من دونها، أوفي موضع معرّفا وفي آخر منكّرا، أو مفردا وفي آخر جمعًا، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر، أو مدغما ومنّونا وهو من فروع التفسير" [1]، على أنّ المراد بلفظ القصّة الوارد في التعريف ليس القصة بمفهومها الاصطلاحي، وإنّما يُراد به: الآية أو التركيب.

وقد ألّف في هذا العلم جماعة من العلماء منهم: أبو الحسن الكسائي (ت 189هـ) وكتابه: مشتَبَهات القرآن، وذكر السّيوطي (ت 911هـ) أنّه أول من صنّف فيه[2]، وأبو عبد الله محمّد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت 420) وكتابه: دُرّة التنزيل وغرّة التأويل، ومحمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505هـ) وكتابه: البرهان في توجيه متشابه القرآن، وأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (ت 708) وكتابه: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللّفظ من أي التنزيل، والقاضي بدر الدّين بن جماعة (ت 733هـ) وكتابه: كشف المعاني في متشابه المثاني، ومجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت 817هـ) وكتابه: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وأبو يحي زكريا الأنصاري (ت 926هـ) وكتابه: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، ونشير هنا إلى أن الفيروز ابادي وأبا يحي زكريا الأنصاري قد اقتبسا كلَّ ما جاء في كتاب الكرماني [3].

أما الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، فقد تناول موضوع المتشابهات في قسم من كتابه: البرهان في علوم القرآن تحت عنوان: علم المتشابه، ذكر فيه جملة من الذين صنّفوا فيه، وحصر التّشابه في ثمانية أقسام قد بيّنها في كتابه.

---

(1) القنوجي، صديق بن حسن: أبجد العلوم، تحقيق: عبد الجبّار زكّار ، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، 1978م، ج2، ص 121.

(2) ينظر: السيوطي ،جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية ، ط1 ،بيروت، لبنان، 1425هـ -2004م، ص 480.

(3) ينظر: الفيروزابادي، مجد الدين بن يعقوب : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية ، دط ،بيروت، د ت . و ينظر: أبو يحي زكريا الأنصاري: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، مكتبة رحاب، ط2 ، الجزائر ، 1408 هـ - 1988 م .

وأمّا الإمام جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي فقد تناول في كتابه: الإتقان في علوم القرآن قسمًا بعنوان: الآيات المشتبهات، أورد فيه بعض المؤلفات في الموضوع، ثم ذكر بعض الآيات المشتبهات وعلّل اختلافها.

ويعدّ كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني كتابا نفسيا بل الأنفس في عصره من حيث تناوله للمتشابه في القرآن، ذلك أن العلماء المعاصرين للكرماني وغيرهم من الأئمة قبله " ... قد شرعوا في تصنيفه واقتصروا على ذكر الآية ونظيرها، ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها، وهو المُشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلاّ من وفّقه الله لآدائه " [1]، أمّا الكرماني فقد تفرّد عن أولئك بتتبّعه الدقيق للمتشابه في القرآن في جميع جزئياته، ولم يغفل أيّ موضوع من مواضيعه لذلك يُعدّ كتابه " الأول من نوعه " [2]، والظاهر من خلال هذا الكتاب أنّ الكرماني قد اعتمد على ذكائه الخاص في المسائل التي أوردها ولم يكن منها عن غيره إلاّ بضع مسائل عقّب عليها برأيه الشخصي ولم يكتف بها، فقد ترجم له ياقوت الحموي في معجمه فقال عنه: " أحد العلماء الفهماء النبلاء، صاحب التّصانيف والفضل، كان عجبًا في دقّة الفهم وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه ولم يرحل، وكان في حدود الخمسمائة وتوفي بعدها، صنّف لباب التفسير وعجائب التأويل، والإيجاز في النحو، والنظامي في النحو، والإشارة والعنوان في النحو " [3].

وقد حدّد الكرماني منهجه في الكتاب منذ البداية فقال في مقدمته: " هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكرّرت في القرآن وألفاظها متّفقة، لكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك ممّا يوجب اختلافا بين الآيتين، أو الآيات التي تكرّرت من غير زيادة ولا نقصان، وأبيّن ما السبب في تكرارها والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الأخرى، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا ؟ ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها وتمتاز بها عن أشكالها " [4].

---

(1) الكرماني ،محمود بن حمزة بن نصر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، لبنان، 1406هـ - 1986م، ص 20.

(2) الكرماني: المصدر نفسه: مقدمة المحقق، ص 15.

(3) الحموي ،أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي : معجم الأدباء، دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت ،لبنان،1411هـ-1991م، ج5، ص 488 .

(4) الكرماني: البرهان: مقدمة المؤلف، ص 19، 20.

وهنا يقف بنا هذا النّص على القضية الأساس التي تهمّنا وهي قضية التّكرار في القرآن الكريم، فقد جعلها الملاحدة والطّاعنون في أسلوب القرآن موطن الضّعف فيه والنّقص، وأنّها من التّطويل والإطناب الذي لا يحتاج إليه وهو عيب من العيوب التي تؤخذ – في نظرهم – على القرآن وبذلك تنتفي صفة الإعجاز منه، غير أنّ هؤلاء لو أنعموا النظر فيه وأعملوا فكرهم لوجدوا ذلك أدخل في باب الإعجاز والتحدّي، وهو ما نبّه عليه الكرماني في كثير من المواضع من كتابه، من ذلك عبارة : " فتأمل فيه فإنّه من معجزات القرآن "[1]، وعبارة: " فتنبّه فإنّه من أسرار القرآن "[2]، وعبارة: " تأمّل في هذه السورة فإنّ فيها برهانًا لأحسن القصص" ...[3]

فالمكرّر في القرآن الكريم لا يخلو من حكم وأسرار اجتهد العلماء في تبيّنها وبيانها وهو الأمر الذي انطوى عليه كتاب الكرماني، وفي هذا يقول ابن الأثير (ت 637 هـ): " و بالجملة فاعلم أنّه ليس في القرآن مكرّر لا فائدة في تكريره، فإن رأيت شيئا منه تكرّر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه لتنكشف لك الفائدة "[4]، وفي هذا إشارة إلى أنّ السياق هو الكفيل ببيان دلالة المكرّر في القرآن.

وما يقال عن اللفظ الواحد المكرّر ينطبق على جميع التراكيب التي تكررت، وهو ما عناه الجرجاني بقوله: " ... من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدّل تارة ولا يدلّ أخرى ... "[5]، أي أن كلّ كلمة لها دلالتها في السياق الذي ترد فيه .

وإذا كانت نظرية النظم فحواها المناسبة التامة بين التركيب والسياق الذي ورد فيه، فإن هذا المبدأ يتجلّى أكثر من خلال المقارنة التي توفّرها المتشابهات في القرآن الكريم، والآلية التي تسمح بدراسة هذه المتشابهات دراسة تجلّي ما لاستعمالاتها المختلفة من دلالات وأسرار هي: السياق .

---

(1) الكرماني، المصدر السابق، ص 65.

(2) الكرماني، المصدر نفسه، ص 68.

(3) الكرماني، المصدر نفسه، ص103 .

(4) ابن الأثير، ضياء الدين الجزري: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ،1419هـ -1998 م، ج2، ص 140.

(5) الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص 120.

والسياق بمفهومه اللّساني: هو ما يصاحب الوحدات اللغوية (ما يسبقها أو يلحقها)، ويعين على تفسيرها وتعيين دلالتها [1]، وبناءً على هذا أخذ السياق مفهوما أوسع من مجرّد التركيب اللغوي (النّصّي)، و أصبح ينقسم إلى قسمين: سياق لغوي وسياق غير لغوي أو سياق الحال، الذي يشمل " الظروف الاجتماعية التي يعتمد عليها لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي و السلوك اللغوي " [2].

والسبب الذي حمل اللسانيين على الالتفاف إلى هذا النوع من السياق، هو ما لوحظ من أهميته في دراسة الدلالات وفهم المعنى، حيث إن العوامل النفسية والاجتماعية، والملابسات التي تتعلّق بالمخاطِب والمخاطَب والعلاقة بينهما وغرض الحديث، كلّ هذا ممّا يُسهم في تحديد الدّلالة وإدراك المعنى.

ومن أشهر اللغويين المحدثين الذين أولوا السياق مكانة هامة في التنظير اللّساني، اللغوي الإنجليزي الشهير: جون فيرث[*]، الذي بنى نظريته على أساس من فكرة السياق، فهو بالنسبة إليه: " حقل من العلاقات (Field of relation)؛ علاقات بين أشخاص يقومون بأدوارهم في المجتمع، مستعملين في ذلك لغات مختلفة، ومرتبطين بحوادث وأشياء معيّنة " [3]، أي أن السياق عنده ذو عناصر معينة ومتكاملة فيما بينها، وهو بهذا يقترب - إلى حدّ كبير - من فكرة المقام التي نصّ البلاغيّون على وجوب مراعاتها لتتمّ بلاغة الكلام.

وقد تأثّر بعض اللغويين العرب المحدثين بالمنهج السياقي، وخاصة في الشكل الذي ورد به في

---

(1) ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات، مطبعة النجاح، د ط، الدار البيضاء، 2002م ، ص120 .

(2) المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم: المرجع نفسه، ص 36.

(*) ولد جون فيرث سنة 1890، درس التاريخ، وتعلم بعض اللغات الشرقية لمّا استقر به المُقام في الهند لمدة طويلة ، وهكذا تأثر بالنظريات اللغوية الهندية، الشيء الذي جعله يعتقد بأن تطوير أية نظرية لغوية لا يكون إلاّ بالمعرفة الدقيقة للصوتيات الحديثة، وهو الرجل الذي أحدث لأول مرّة تغييرا جذريا في التنظير اللساني البريطاني، فكان أوّل من منح رتبة أستاذ ذي كرسي في اللسانيات العامة ببريطانيا العظمى.

(3) مومن ،أحمد: اللسانيات، النشأة والتطوّر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 5 ، بن عكنون ، الجزائر ،2005م ، ص 178.

نظرية فيرث اللغوية، إذ إنّ بعض هؤلاء كانوا تلاميذ لفيرث، وأشهرهم: تمام حسان(*) الذي حاول قراءة التراث اللغوي العربي قراءة لسانية حديثة سار فيها على هدْيٍ من نظرية السياق في كتابه: اللغة العربية معناها ومبناها، وكذلك فعل في قسم من كتابه: البيان في روائع القرآن، حيث تناول العديد من الآيات القرآنية التي تتّكىء في فهمها على قرائن السياق وهذه القرائن " ... تمتدّ ... على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها المعجمية وتشمل الدلالات بأنواعها من عرفية إلى طبيعية، كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسّية ونفسية واجتماعية كالعادات والتقاليد ومأثورات التراث وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية ممّا يجعل قرينة السياق كبرى القرائن "(1).

ولا شكّ أنّ السياق من حيث المبدأ لم يكن وليد الدراسات اللسانية الحديثة، لأنّ تراثنا اللغوي حَفَل بإشارات واضحة إلى السياق في مختلف المجالات، تدلّ دلالة واضحة على الوعي العميق به وبقيمته، وفيما يأتي محاولة للكشف عن بعض ملامح منهج العلماء في التعامل معه.

(*) حسان، تمام: من مواليد 27 جانفي 1918، في قرية الكرنك بمحافظة قنا أقصى صعيد مصر، بدأ حياته العلمية معلّما للغة العربية عام 1945، لينال بعده بعثة علمية للدراسة بجامعة لندن عام 1946، حصل منها على درجتي: الماجستير والدكتوراه في علوم اللغة، وهو من أبرز اللغويين المحدثين العرب الذين تتلمذوا على يد العالم جون فيرث، تأثر بنظريته السياقية وتبنّاها في مؤلفاته.

(1) حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1430 هـ - 2000م، ج2، ص 173.

الفصل الأول:

السياق في التراث العربي

المبحث الأول: السياق عنـــد اللغويين

المبحث الثاني: السياق عند النحـــــاة

المبحث الثالث: السياق عند البلاغيين

المبحث الرابع: السياق عند المفسرين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

السياق عند اللغويين:

حريّ بنا قبل الشروع في الحديث عن مظاهر اهتمام اللغويين بقضية السياق، أن نتتبع معاني هذه اللفظة في بعض المعاجم.

قال ابن فارس: " السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يُقال: سَاقَهُ يَسُوقُه سَوْقًا، والسّيقة ما استيق من الدواب، ويقال : سقت إلى امرأتي صداقها، وأسَقْتُهُ، والسُّوقُ مُشتقة من هذا لِما يُساق إليها من كل شيء، والجمع أَسْوَاق، والسَّاقُ للإنسان وغيره، والجمع سُوق، إنّما سمّيت بذلك لأنّ الماشي يَنْسَاقُ عليها "[1].

وقال ابن منظور: " السَّوقُ: معروف، ساق الإبل وغيرها يَسُوقها سَوْقًا وَسِيَاقًا، وهو سائق سوّاق، شُدِّدّ للمبالغة... وقد انْسَاقَتْ وتسَاوَقَتِ الإبل تَسَاوُقًا: إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومُتَسَاوِقة..."[2].

وقال الزمخشري (ت 538 هـ): " ومن المجاز ... هو يَسُوقُ الحديث أحسن سِياق، وإليك سِياق الحديث، وهذا الحديث مَسَاقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سَوقه، على سرده..."[3] أي: على تتابعه.

ويظهر لنا _ من خلال ما سبق _ : أن أصل كلمة السياق هو السّوق الذي ارتبط مدلوله في البداية بسَوْق الإبل وغيرها، ثم أطلق بعد ذلك على الكلام ليدل على أسلوبه والغرض منه وهو ما يُستفاد من تعريف الزمخشري، فكأنّ تتابع ألفاظ الكلام وتواليها يشبه تتابع الإبل في سيرها .

ولا شكَّ أن الغرض من الكلام قد يدلّ عليه ظاهر الألفاظ التي يسوقها المتكلم، وقد يدل عليه غير ذلك، فكثيرا ما يرتبط هذا الغرض بقرائن تساهم في توضيح المعنى وفهم المقصود من الكلام حتّى أضحى مفهوم السياق قريبا من مفهومها، وهذه القرائن إمّا أن تكون ظروفا وأحوالا ورد فيها النص، وإما أن تكون وحدات لفظية تسبق النصّ أو تلحق به، ولهذا فإن " قسمًا كبيرا

---

(1) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (سوق)، ص 476 ، 477.

(2) ابن منظور: لسان العرب، مادة (سوق) ، ج3، ص 2153 ، 2154.

(3) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة ، تحقيق: عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة،د ط،بيروت، لبنان، دت، مادة (سوق) ، ص 225.

من أعمال اللغويين وفقهاء اللغة قديماً انصبّ على التنبيه إلى هذه القضية، وأن دلالة الكلام ليست بالضرورة ما يدلّ عليه ظاهر لفظه "[1].

قال ابن فارس: " يقولون للرجل يُستجهل: يا عاقل "[2].

فكلمة (عاقل) هنا لم تستعمل في معناها المعجمي الذي يفيد المدح أو ما شاكل ذلك ، وإنما استعملت في هذا السياق بمعنى مغاير يفيد التّهكّم والاستهزاء، ولا نستطيع الوصول إلى هذا المعنى من دون الرجوع إلى الظروف التي قيلت فيها هذه العبارة، وهو ما يمكن عدّه ضمن سياق الحال الذي يتشكّل من مجموع الظروف المحيطة بالكلام .

ومن العلماء الذين كانوا على وعي بهذا السياق: ابن جنّي (ت 392 هـ) ، حيث عرض له في مواضع كثيرة، و " قرّر أن المعاني قد لا يوصل إليها إلا بالظروف التي أحاطت بها، ومن ثمّ لا ينبغي أن يكتفي اللغوي بالسماع، بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة "[3] .

يقول ابن جنّي : " ولهذا الموضع نفسه ما توقّف أبو بكر عن كثير ممّا أسرع إليه أبو إسحاق من ارتكاب طريق الاشتقاق، واحتج أبو بكر عليه بأنه لا يؤمن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها ولم ندر ما حديثها، ومثّل له بقولهم: (رفع عقيرته)؛ إذا رفع صوته، قال أبو بكر: فلو ذهبنا نشتقّ لقولهم: (عقر) من معنى الصوت لَبَعُدَ الأمر جدّا، وإنّما هو أنّ رَجُلاً قُطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ثم نادى وصرخ بأعلى صوته فقال الناس: رفع عقيرته، أي رجله المعقورة، فقال أبو بكر: فقال أبو إسحاق: لست أدفع هذا، ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا: أو لأنّ الأول وصل إليه علمٌ لم يصل إلى الآخر، يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال الأوائل "[4] .

---

(1) بودوخة، مسعود: السياق وأثره في الدلالة مع دراسة تطبيقية في تفسير الزمخشري، رسالة ماجستير، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،1999م-2000 م،ص 52.

(2) ابن فارس، أحمد: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م، ص 196.

(3) الراجحي، عبده: فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة، د ط ، بيروت، لبنان، د ت ، ص167.

(4) ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي، د ط، بيروت، لبنان، د ت،ج1، ص 248.

ففي كلام ابن جنّي هذا ما يدل على أهمية الحضور والمشاهدة في فهم دلالات الألفاظ ومعانيها، وقصود العرب فيما تتعاطاه من كلامها، ولهذا رأينا كثيرا من مؤلّفي المعاجم يتنقّلون بين البوادي ويرتحلون إلى مواطن العرب الأقحاح لأخذ العربية من سياقها الذي تستعمل فيه، و لم يكن ذلك إلاّ حرصاً و إداراكاً منهم لأهمية هذا الجانب، أي: سياق الحال .

ويمكن أن نستشفّ بوضوح أيضا أثر هذا النوع من السياق، من خلال الأمثال التي كانت تُضرب في ظرف معين أو حادثة معينة، ثمّ تذكر فيما بعد مورًّى بها عن مثلها في المعنى . و معرفة هذه الأمثال وشرحها والإبانة عن معانيها والإخبار عن المقاصد فيها ... كلّ ذلك يحتاج إلى الوقوف على أصولها والإحاطة بأحاديثها[1] ، وهذا يشمل الأحوال والمواقف التي صدرت فيها، من ذلك ما حكته العرب: (رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْن)، وأصل المثل: " أن حنينا كان إسكافا من أهل الحيرة فساومه أعرابي بخفّين حتّى أغضبه فأراد غيظَ الأعرابي، فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنين أحد خفيه وطرحه في الطريق، ثم ألقى الآخر في موضع آخر، فلمّا مرّ الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الخفّ بخفّ حنين ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى فلمّا انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول، وقد كمن له حنين، فلمّا مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حُنين إلى راحلته و ما عليها فذهب بها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلاّ الخفّان، فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك ؟ فقال : جئتكم بخفيّ حنين، فذهبت مثلا يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة " [2].

أمّا ما يتعلق بالسياق اللفظي، ونقصد: شرح اللفظة وتحديد معناها من خلال استعمالاتها في الكلام فهو أمر يمكن القول: إنه الأساس الذي قامت عليه أغلب المعاجم العربية، ذلك أنّ " الألفاظ لا تعيش منعزلة في متون النصوص، بل مجتمعة مركبة مع غيرها من الألفاظ، ولذلك كانت دراستها منفردة دراسة عقيمة غير منتجة، فيجب أن يُستنتج معناها أو معانيها المتعدّدة من مجموع النصوص التي تحدّد استعمالها، وتمكّننا من ضبط معناها ضبطا دقيقا " [3].

---

(1) ينظر: العسكري، أبو هلال: كتاب جمهرة الأمـــثال ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم و عبد المجيد قطامش ،دار الفـــكر، ط2، بيروت، 1988م، ص 5.

(2) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة، د ط، بيروت، د ت، ج1، ص 296.

(3) المبارك ، محمد: فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر، ط5، بيروت، 1392هـــ-1972م ، ص 164.

فالملاحظ على معاجم اللغة العربية أنها تدوّن المعنى الأصل للكلمة، ثمّ تفرّعه بعد ذلك بحسب السياقات التي تُستعمل فيها هذه الكلمة، إذ لم يكن المعجميّ يقدم اللفظة عارية من سياقها، بل كان يوردها في سياقها الذي يحكم دلالتها ويحدّد معناها[1]، ومن الأمثلة على ذلك معجم مقاييس اللغة لابن فارس ومعجم أساس البلاغة للزمخشري، حيث نراهما يذكران المعنى الأصل للكلمة ثمّ يفرّعان منه مختلف المعاني بحسب السياق .

ويمكن أن نتتبّع أثر هذا النوع من السياق لدى اللّغويّين من خلال ظاهرتين بارزتين هما: المُشترك اللفظي و الترادف .

1- المشترك اللفظي :

جاء في تعريف المشترك اللفظي عند القدماء أنــه: " اللّفظ الــواحد الدّال على معنيين مختلفــين فأكثر"[2]، أي: أن يكون للكلمة الواحدة عدة معانٍ، كقولنا: عين الإنسان، وعين الماء، وعين المال، وعين الميزان...[3]

وعلى الرغم من أنّ ظاهرة تعدّد معاني اللفظ الواحد موجودة في جميع اللغات الشائعة، " لأن منشأها وسبب وجودها... طريقة تسمية الأشياء ووضع الألفاظ، وهو أمر عام في اللغات "[4]، فإن علماء اللغة العرب لم يتفقوا على رأي في وقوع هذه الظاهرة في اللغة العربية ، فمنهم من أنكرها ومنهم من جوزها، ولكلّ حجج وأدلّة فيما ذهب إليه[5].

ولعلّ أبرز من تعرّض لهذه الظاهرة من العلماء، أولئك الذين تناولوا غريب القرآن بالشرح و التفسير اعتمادًا على السياق، وذلك فيما سُمي: (الوجوه والنظائر)، " فالسياق له دخل كبير في وضوح المعنى، والوجوه لا ينكشف معناها و لا يتّضح مفهومها إلاّ في ضوء السّياق

---

(1) ينظر: الداية، فايز: علم الدلالة العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط الجزائر، 1988م، ص33.

(2) السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، دار الجيل ودار الفكر، د ط، بيروت،د ت، ج1، ص 369 .

(3) السيوطي : المصدر نفسه، ج1، ص 374 ، 375.

(4) المبارك، محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، ص 199.

(5) ينظر: النادري، محمد أسعد: فقه اللغة مناهله ومسائله ، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت- 1425 هـ - 2005م، ص 310.

القرآني"[1]، وهذا هو لب منهج الدراسات الدلالية الحديثة " الذي لا يقطع الصلة بالمعاني التي استقرت في المصنفات الخاصة بالمفردات"[2]، أي أنّ المعاني المتعدّدة للكلمة تتصل كلّها بالمعنى الأصلي لها من قريب أو من بعيد، ويبرز أحد هذه المعاني حينما تُستعملُ الكلمة في جملة معينة وسياق محددّ من الكلام[3].

ويعدّ معجم المنجدّ في اللغة – وهو من أقدم ما وصل إلينا – لأبي الحسن عليّ بن الحسن الهُنائي المشهور بكُراع (ت 310 هــ)، أهمّ المؤلفات اللغوية في حقل المشترك اللفظي[4]، حيث إنه يورِد الألفاظ المشتركة في سياقات مختلفة ويشرح معناها في كل سياق ترد فيه، من ذلك قوله : " المُهْلُ: الصّديد والقيح، والمُهْلُ: خَبَثُ الجواهر من الفضة والذهب وغيرهما، والمُهل: ما تحاتّ عن الخبزة من الرّماد إذا أخرجت من المَلّةَ، والمُهْلُ: دُرْديّ الزّيت، ويُقال: عَكَرُ الزيت المُغْلَى "[5].

والحديث عن المشترك اللفظي، يقف بنا على ظاهرة أخرى خاصة منه، وهي المعروفة بالتّضاد، وهو عند اللغويين: أن يقع اللّفظ على المعنى وضدّه، نحو: الصّريم: لليل والنهار، والسُّدفة: للظلمة والضوء ...[6]

والتّضاد في حقيقة الأمر نوع من الاشتراك اللّفظي، فكل تضاد مشترك لفظيّ، وليس كلّ مشترك لفظيّ تضادًّا، ولهذا السبب _ أي لأنّ التّضاد نوع من المشترك اللفظي _ اختلف علماء اللغة حوله، مثلما اختلفوا حول المشترك[7].

ويبدو أن ظاهرة التضاد هذه قد استُغلت للطّعن في منطق العرب ولغتهم، و " أنّ ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقلّة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم "[8]، غير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) مكرم، عبد العال سالم: المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن ، جامعة الكويت، د ط، 1414 هــ - 1994 م، ص 44.

(2) الداية، فايز: علم الدلالة العربي، ص 220.

(3) ينظر: المبارك، محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، ص 183.

(4) ينظر: مكرم، عبد العال سالم: المشترك اللفظي، ص 25.

(5) الهنائي، أبو الحسن: المنجد في اللغة، تحقيق : أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي ، عالم الكتب،ط2، القاهرة، 1988م، ص 334،335 .

(6) ينظر: السيوطي: المزهر، ج 1، ص 401.

(7) ينظر: الناذري: فقه اللغة مناهله ومسائله، ص 310.

أن علماء اللغة " احتكموا إلى السياق في تمييز معاني الألفاظ المشتركة ، فجعلوا ظاهرة المشترك دليل ثــراء وغِنىً للّغة "[1].

وها هو الأنباري (ت 577 هــ) يبتدئ كتابه : (الأضداد) بالحديث عن هذه التهمة التي ألصقت بلغة العرب،ثم يقول في معرض ردّه: " ... ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة وإن لم تكن متضادّة، فلا يُعرف المعنى المقصود فيها إلا بما يتقدم الحرفَ ويتأخر بعده مما يوضّح تأويله "[2]. فالتضاد في رأيه نوع خاص من أنواع المشترك اللفظيّ ، يُعرف معناه من خلال السياق الذي يرد فيه، أو" بما يتقدم الحرف ويتأخّر بعده "على حدّ تعبيره .

ومن أسباب وقوع الاشتراك بين الألفاظ ما يعرف بــ: التطور الدلالي، فمن " البديهي أن اللّفظ في أول وضعه كان يدلّ على معنى واحد، ثم تولدّ من هذا المعنى الواحد عدة معانٍ، وهذا التّوالد هو ما نسميه: تطوّر المعنى "[3].

ويتحدث الأنباري عن هذا الأمر وعن أهميته في تولّد المشترك كتطور دلالة الأفعال للدّلالة على الأعلام، وتلك لا يُعرف معناها الجديد إلاّ بدليل يزيل اللّبس، فمن ذلك قوله: " وأنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفرّاء عن الكسائي :

وَكُنْتُ ابْنَ عَمٍّ بَاذِلاً فَوَجَدْتُكُمْ بَنِي جُدَّ " ثَدْيَاهَا " عَلَيَّ وَلاَلِيَا[*]

جعل (جُدّ ثَدْيَاهَا) اسمًا " [4].

فهذا المعنى لا يمكن أن يُعرف من دون النظر إلى قرائن السياق اللفظي لأنها الدليل الذي يزيل الإشكال والغموض عن السامع .

ومن الأمثلة التي ساقها السيوطي (ت 911 هــ) للتّدليل على أنّ السياق هو الذي يبيّن المعنى المرا د: قول الشاعر:

---

[1] بودوخة، مسعود : السياق و أثره في الدلالة ، ص65 .

[2] الأنباري، محمد بن القاسم : الأضداد، المكتبة العصرية، د ط ، صيدا، بيروت ، 1407 هــ - 1987م، ص 3 ، 4.

[3] عبا العال سالم مكرم : المشترك اللفظي ، ص 9 .

[*] جدّ ثدياها جفّــا و يبسا ، والبيت لم أقف عليه .

[4] الأنباري : الأضداد ، ص 4 ، 5 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلّ شيء ما خلا الموت جللْ والفتى يَسعَى ويلهيه الأمل (**)

" فدلّ ما تقدّم قبل (جلل) وتأخر بعده على أنّ معناه: كلّ شيء ما خلا الموت يسيرٌ ، ولا يتوهّم ذو عقل وتمييز أن الجلل هنا معناه : عظيم " (1)

وخلاصة القول فيما يخصّ المشترك اللفظي: إنّ الاتجاه العام الذي ينتظم آراء معظم اللغويين هو الاعتراف به كظاهرة دلالية، وإنّ السياق هو الذي يعطي إشاعات معينة للكلمة أو الكلمات التي وقع فيها الاشتراك.

2- الترادف:

جاء في تعريف القدماء للترادف أنّه: " الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد " [2] ، بمعنى: أن الترادف هو تعدّد اللفظ أو الألفاظ للمعنى الواحد، وهو ــ كما يظهر لنا ــ عكس الاشتراك، من ذلك : " تسمية الدار دارا و ومترلا ومسكنا وبيتا ، باعتبار كونها مستديرة في الأصل، أو كونها مكان النزول بالنسبة إلى أهل البادية أو المسافر، أو كونها موضعا للسكينة والاطمئنان، أو كونها مكانا للبيتوتة... "(3)

وظاهرة الترادف هذه، اختلف القدماء أيضا حول إمكانية وقوعها في اللغة، فانقسموا بين مؤيد لها ومنكر، ولا زالت حتى الآن موضع خلاف، " فعلى حين ينادي بعض الباحثين بوجود الترادف في كلّ الوحدات القاموسية التي تدلّ في إطار علم الدلالة على المعنى نفسه، يرفض آخرون الاعتراف مطلقا بإمكانية وجوده بمعنى المساواة في الدلالة "(4)، غير أن الذي يهمّنا هنا هو رأى أولئك الذين أنكروه ونفوا وجوده في اللغة، فعندهم: " أنّ كلّ ما يُظَنّ من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات"(5)، أي أن كل صفة معناها غير معنى الصفة الأخرى، وما يبدو من المترادفات في رأيهم، إنّما هو من باب ما يُسمى: التشابه أو التقارب الدّلالي، وإنما كان

(**) نسبه السيوطي إلى الشاعر لبيد بن ربيعة ، ينظر : المزهر ، ص 398

(1) السيوطي: المصدر نفسه ، ج1 ، ص 398 .

(2) السيوطي : المصدر نفسه ، ج 1، ص 402 .

(3) المبارك، محمد: فقه اللغة و خصائص العربية ، ص 200

(4) شبلنر، برند: علم اللغة والدراسات الأدبية ، ترجمة :محمد جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، د ط ، القاهرة، 1991م ، ص 46 .

(5) السيوطي : المزهر ، ج 1، ص 403 .

احتكامهم في ذلك إلى السياق، فقد " كان اللغويون أيّام ازدهار اللغة يُعنون بإبراز الفروق بين الألفاظ... ويحرصون على دقة التعبير ووضع الألفاظ في مواضعها... "[1]، وقد ألّفوا في ذلك مؤلفات خاصة، يأتي في مقدمتها: كتاب (الفروق) لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ) ، و " أبواب الفروق" من كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة الدينوري (ت276 هـ)، والقسم الأول من كتاب (فقه اللغة وأسرار العربية) للثعالبي (ت 430 هـ) .

ففروق أبي هلال، كتاب يُعنى بتبيان المعاني الدقيقة للألفاظ التي تبدو في ظاهرها مترادفة ، غير أن هناك فروقا بينها في الاستعمال، يقول العسكري: "... وكما لا يجوز أن يدلّ اللفظ الواحد على معنين، فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلاّن على معنى واحد، لأنّ في ذلك تكثيرا للّغة بما لا فائدة فيه "[2]. فهو ينفي وقوع الترادف بين الألفاظ كما ينفي وقوع الاشتراك بينها في سياق معيّن .

ويرى العسكري أن هذا الترادف بين الألفاظ أمر نسبيّ، وأنّ تفسير بعضها ببعض يقربّها فحسب ولا يجعلها متساوية أو متطابقة في الدلالة، فيقول في سياق إيراده لأدلة الخصوم: "... ولعلّ قائلا يقول: إنّ امتناعك من أن يكون للّفظين المختلفين معنى واحد ردٌّ على جميع أهل اللّغة، لأنهم إذا أرادوا أن يفسّروا اللّبّ قالوا: هو العقلّ، أو الجَرْحَ قالوا: هو الكسبُ ، أو السّكبَ قالوا: هو الصبّ، وهذا يدلّ على أن اللّب و العقل عندهم سواء، وكذلك الجرح و الكسب، و السّكب و الصب ... "[3]. ويردّ بالقول على ذلك إنّ: " قولنا : اللّبّ وإن كان هو العقل ، فإنّه يُفيد خلاف ما يفيد قولنا: العقل "[4]، وعنده: أن السياق من بين العوامل التي لها دور في تبيان الفرق بين الألفاظ، فهو يقول: " فأمّا ما يُعرف به الفرق بين هذه المعاني وأشباهها، فأشياء كثيرة منها اختلاف ما يُستعمل عليه اللّفظان اللّذان يراد الفرق بين معنييهما "[5].

---

(1) المبارك، محمد: فـــقه اللغة وخصائص العربية ، ص 318 ، 319.

(2) العسكري، أبو هلال : الفروق في اللغة ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ،دار الأفاق الجديدة، ط7، بيروت، 1411 هـ -1991 م ، ص 14 ،15 .

(3) العسكري : المصدر نفسه ، ص 16 .

(4) العسكري : المصدر نفسه ، ص 16 .

(5) العسكري : المصدر نفسه ، ص 16 .

وفي كتاب (أدب الكاتب) خصّص ابن قتيبة بابًا لتبيان الفروق الدقيقة بين معاني الكلمات ، من ذلك: فروق في خلق الإنسان، فروق في الأسنان، فروق في الأفواه، فروق في الأطفال...[1]

وأفرد الثعالبي في كتابه جزءً ا هامًا في ذلك أسماه: (سرّ العربية)، وقد كان تناوله للمعنى المعجميّ " ليس مبنيا على شرح معنى اللّفظة بما يشابهها أو بما يغايرها، وإنّما ينبني على استعمال اللفظة في السياق اللغوي "[2]، من ذلك تفصيل كيفية النظر وهيئاته في اختلاف أحواله، يقول الثعالبي: " إذا نظر الإنسان إلى الشيء بمجامع عينه، قيل: رمقه، فإن نظر إليه من جانب أذنه، قيل: لحظه، فإن نظر إليه بعجلة، قيل: لمحه، فإن رماه ببصره مع حدّة نظره، قيل: حدجه... "[3]، فنلاحظ أن لكل سياق ما يناسبه من استعمال الألفاظ .

وخلاصة القول في كل ما سبق : إن السياق كان جزءً ا هامّا من منهج اللغويين وأصحاب المعاجم، وظاهرتا الاشتراك و الترادف – كما مرّ معنا – دليل واضح على ذلك .

---

(1) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري : أدب الكاتب ، تحقيق : درويش جويدي ، (المكتبة العصرية، ط1 ، صيدا ، بيروت ، 1423 هـ - 2002 م ،ص 116 .

(2) الراجحي، عبده : فقه اللغة في الكتب العربية ، ص 164 .

(3) الثعالبي، أبو منصور : فقه اللغة و أسرار العربية ، دار مكتبة الحياة، د ط ، بيروت، لبنان ، د ت ، ص 68 ، 69 .

المبحث الثاني:

السياق عند النحاة:

لاشكّ أنّ أولى غايات نشأة النحو العربيّ هي محاولة فهم النصّ القرآنّي، ومعرفة ما يؤديه التركيب فيه، غير أنّ عناية النحاة لم تنصرف إلى الإعراب وحده فحسب من حيث إنّه: " أثر ظاهر أو مقدّر يجلبه العامل في آخر الكلمة "[1]، بل رأوا فيه وسيلة هامّة وفعّالة يقف فيها ضبط الفهم وسلامة المعنى جنبا إلى جنب، مما يعنى أن عمل النّحاة مرتبط أساسا بالدّلالة .

فإلى جانب قرينة الإعراب التي تحكمها نظرية العامل، نجد في كتب النّحو على اختلافها ما يشير إلى قرائن نصّية أخرى، وخاصة ما يتعلق منها بالترابط في سياق عناصر الجملة أو الجمل عموما، وهذا يدلّ على أنّ النحاة كانوا على وعي عميق بالسياق وقيمته داخل النصّ وإن لم يشيروا إليه بصريح لفظه[2]، يقول ابن جنّي: " ويدلّك على تمكن المعنى في أنفسهم، وتقدّمه للفظ عندهم، تقديمهم لحرف المعنى في أوّل الكلمة وذلك لقوة العناية به، فقدموا دليله ليكون ذلك أمارة لتمكّنه عندهم، وعلى ذلك تقدّمت حروف المضارعة في أول الفعل، إذ كُنَّ دلائل على الفاعلين : من هم ؟ وما هم ؟ وكم عدتهم ؟ نحو: أفعل ، ونفعل، و يفعل ..."[3]

ففي النص السابق إشارة واضحة إلى اهتمام النحاة بتحليل الجملة وارتباط عناصرها ورتبة هذه العناصر وأهميتها من حيث الدّلالة، وسواء أكان ذلك في رتبة حروف المعاني التي تدخل على الجملة أم في رتبة الكلمات المكونة لها .

ولمّا كان عمل النحاة لا ينفصل عن الجانب الدّلالي – كما ذكرنا آنفا – وجدناهم يولون للمعنى أهمية كبيرة معتمدين في ذلك على السياق وعناصره في الغالب، سواء أوافق هذا المعنى ظاهر اللفظ أم خالفه، يقول السيوطي: " ... وصناعة النّحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني وقد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد، فيقع الإسناد في اللّفظ إلى شيء آخر إذا علم المخاطب غرض المتكلم، وكانت الفائدة في كلا الحالين واحدة، فيجيز النحويون في صناعتهم: أُعْطِيَ درهمٌ

---

(1) ابن هشام، عبد الله الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الجيل، ط 5، بيروت، 1979 م، ص 39.

(2) ينظر: الطلحي، ردّة الله بن ردّة بن ضيف: دلالة السياق، جامعة أم القرى، ط1، مكة المكرمة، 1424 هـ، ص 66.

(3) ابن جني: الخصائص، ج1، ص 224 ، 225.

زيدًا، ويرون أن فائدته كفائدة قولهم: أُعْطِيَ زيدٌ درهمًا، فيسندون الإعطاء إلى الدّرهم في اللّفظ وهو مسند في المعنى إلى زيد "[1].

ويفهم من هذا النص، أن استيضاح المعنى يعتمد بالدرجة الأولى على أمور مشتركة بين المتكلم والمخاطب، وأوّل هذه الأمور، الموقف الذي تساق فيه العبارات والجمل، فإذا كانت رتبة الألفاظ فيها من الناحية النحوية أو الإعرابية حرّة، فإن الموقف يتحكّم في هذه الرتبة وهو المعوّل عليه في فهم المقصود من الكلام، وهذا ما يعرف لدى القدماء بالقرائن الحالية، وهذه القرائن " لا تفهم من المقال، بل تفهم من المقام أو الظروف المحيطة بالمقال وتسمى سياق الحال في الدّراسات اللّسانية الحديثة، وهي تقف في النحو العربي جنبا إلى جنب مع القرائن المقالية في تعيين المعنى الوظيفي النحوي "[2].

وقرينة الحال: هي ما يحيط باللّفظ من أدلة خارجة عنه سواء أتعلق الأمر في ذلك بحال المتكلم أم بحال المخاطب، أم بالمكان الذي يكون فيه المتكلمون أم بغير ذلك، والنحاة وإن لم يشيروا إلى هذه الأمور بألفاظها صراحة، فإنها لم تغب عن أعمالهم، بل كانت حاضرة في أثناء تناولهم للنّصوص وتعاملهم معها بالشّرح والتّفسير والإعراب، فهذا ابن هشام (ت 761 هـ) يرى أنه: " ... متى بُني ... على ظاهر اللّفظ ولم يُنظر في موجب المعنى حصل الفساد "[3]، وذكر من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: (**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا**) (البقرة: من الآية 249) .

فالذي يتبادر إلى الذهن " تعلّق الاستثناء بالجملة الثانية، وذلك فاسد لاقتضائه أنّ من اغترف غرفة بيده ليس منه وليس كذلك، بل ذلك مباح لهم وإنما هو مستثنى من الأول "[4].

---

(1) السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله ، دمشق، د ط، 1407 هـ - 1986م، ص 172 ، 173.

(2) توامة، عبد الجبار: القرائن المعنوية في النحو العربي، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر ، 1994 – 1995 م، ص 53.

(3) ابن هشام، عبد الله الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر، ط 6، بيروت، 1985 م، ص 686.

(4) ابن هشام : المصدر نفسه، ص 691.

وتتجلّى أهمية القرائن وقيمتها أكثر في توجيه المعنى المقصود عند تناول النصوص بالإعراب، إذ قد تزلّ الأقدام ــ على حدّ تعبير ابن هشام ــ بسبب مراعاة ما يقتضيه ظاهر الصناعة أو الإعراب وعدم مراعاة المعنى[1]، فكثيرا ما " كان الإعراب والتقدير ينبنيان على عدة اعتبارات ليس ظاهر اللفظ أهمها في كثير من الأحيان "[2]، فمن ذلك: " أن ترى رجلا قد سدّد سهمًا نحو الغرض ثم أرسله فتسمع صوتا فتقول: القرطاسَ والله، أي: أصابَ القرطاسَ ، فـــ (أصاب) الآن في حكم الملفوظ به البتّة وإن لم يوجد في اللفظ، غير أنّ دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به "[3]، فما كان محذوفا هنا قد دلّ عليه المقام، و" المراد من اللفظ الدلالة على المعنى، فإذا ظهر المعنى بقرينة حالية أو غيرها لم يحتج إلى اللفظ المطابق، فإذا أُتي باللفظ المطابق جاز وكان كالتأكيد، وإن لم يؤت به فللاستغناء عنه "[4].

ويقول ابن جني معلّلا حذف الصفة: " وقد حذفت الصفة ودلّت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكأن هذا إنّما حذفت فيه لمّا دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التّطويح والتّطريح والتّفخيم والتّعظيم، ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك "[5].

فقوله : " من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم " كلّها تعدّ ضمن قرائن الحال، وهو هنا قد ركّز على المتكلم نفسه وما يكون من حاله في أثناء كلامه من حركات يديه ووجهه وهيئته بكاملها، فقد " حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلّا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته "[6]. ويذكر ابن جنّي ــ في هذا الصّدد ــ بيتا من الشعر يقول فيه صاحبه :

تَقُولُ ــ وَ صَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا ــ أَبَــعْلِيَ هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ ![*]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر: ابن هشام : المصدر السابق، ص 686.

(2) بودوخة، مسعود: السياق وأثره في الدلالة، ص 61.

(3) ابن جني: الخصائص، ج1، ص 284 ، 285.

(4) السيوطي: الأشباه والنظائر، ج1، ص 572.

(5) ابن جني: الخصائص، ج2، ص 370 ، 371.

(6) ابن جني : المصدر نفسه ، ج2، ص 260.

(*) لم أقف على قائل هذا البيت .

و يعقّب عليه بقوله: " فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا المتقاعسُ ! من غير أن يذكر صكّ الوجه، لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجّبة منكرة، لكنه لمّا حكى الحال فقال: " وصكّت وجهها "، عُلِم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها، هذا مع أنّك سامعٌ لحكاية الحال غيرُ مشاهِدٍ لها، ولو شاهدها لكنت بها أعرف، ولِعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل: ليس المُخْبَر كالمعاين"[1]، فهيئة المتكلم واحدة من مكوّنات سياق الحال أَوْلاَهَا النحاة عنايتهم .

ولنتمعن قول ابن جنّي وهو يتحدث عن الموقف الذي يكون فيه المتكلّم باعتباره معينا على تحديد الدلالة ومفيدا في تقدير المحذوف: " و أنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمّلته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلا، فتزيد في قوة اللفظ بهذه الكلمة (الله) ، وتتمكّن في تمطيط اللاّم وإطالة الصّوت بها ... أي: رجلا فاضلا، أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك ... وكذلك إن ذممته ووصفته بالضّيق قلت : سألناه وكان إنسانا وتزوي وجهك وتقطّبه، فيُغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما أو لَحِزًا * أو مبخّلا أو نحو ذلك " [2]. فصفة المدح دلّ عليها ما صاحب الصوت من قوة وإطالة فيه ... وصفة الذّم دلّ عليها ما صاحب المتكلم من حركات وإشارات غير لفظية كإزواء الوجه وتقطيب الحاجب ...

فقرينة الحال وقرينة المقال ــ إذن ــ قد تدلّ إحداهما على الأخرى في الكلام بشرط أن لا يخلو من إحداهما .

وإذا كان النحاة قد أولوا عناية واهتمامًا بالمتكلم وحاله وبالموقف الذي يُساق فيه الكلام، فإنهم لم يغفلوا الجانب المتعلّق بالمخاطب، يقول ابن الأنباري: " ... قد يستغنون ببعض الألفاظ عن بعض إذا كان في الملفوظ دلالة على المحذوف لعلم المخاطب، قال تعالى: (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِرَات) (الأحزاب: من الآية35)، فلم يعمل الآخر فيما أعمل فيه الأول استغناءً عنه بما ذكره قبل، ولعلم المخاطب أن الثّاني قد دخل في حكم الأول "[3].

---

(1) ابن جني : الخصائص ، ج1، ص 245، 246.

(*) اللّحز: الرجل الضيّق الخُلُق.

(2) ابن جني : الخصائص ، ج2، ص 371.

(3) ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين، دار الفكر، د ط، دمشق، د ت، ج1، ص 93.

فمن خلال كل ما سبق يمكننا القول: إنّ المقام أو سياق الحال له دور هام في الوصول إلى فهم المعنى، وإن تحديد الدلالة وإدراكها لا يكون بمجرد النظر إلى المقال فحسب .

أمّا النوع الآخر من السياق فهو السياق اللغوي وهو ذو أهمية كسابقه، بل إنّ " من أهم خصائص السياق ... أنّها تركز على السياق اللغوي وتهتم به من بين أنواع السياق الأخرى، فتبيّن مجموعة الكلمات التي تنتظم معها الكلمة ... وتهتمّ كذلك ببيان الخصائص النحوية والصرفية، وتستخدمها في تحديد السياقات التي تقع فيها الكلمة " [1].

ويمكن رصد مظاهر هذا السياق عند النحاة في أبواب كثيرة ومختلفة من أبواب النحو، من أمثلتها ما نجده في موضوع الحذف، حيث نرى أثر السياق اللغوي يتجلى بوضوح في تقدير المحذوف وفهم المعنى المقصود، والنص السابق لابن الأنباري فيه إشارة إلى هذا الكلام .

وقد أشار إلى ذلك أيضا ابن جنّي حين تحدّث عن حذف الصّفة فقال: " فأمّا إن عريت من الدلالة عليها من اللفظ أومن الحال فإن حذفها لا يجوز " [2]، فدلالة اللّفظ عنده هي قرينة المقال التي يحصل الحذف بالاستناد إليها أولا يحصل، وسواء في ذلك أكان المحذوف صفة أم غيرها كحذف الخبر في قول الفرزدق:

أَسَكْرَانُ كَانَ ابنَ المرَاغَةِ إِذْهَجَا تَمِيمًا بِبَطْنِ الشَّأمِ أَمْ متساكِرُ [*]

يقول ابن جنّي معلّقا على هذا البيت: " ألا ترى أن تقديره: أكان سكرانُ ابنَ المراغة، فلما حذف الفعل الرّافع فسّره بالثاني فقال:كان ابن المراغة، و (ابن المراغة) هذا الظاهر خبر (كان) الظاهرة، وخبر (كان) المضمرة محذوف معها، لأن (كان) الثانية دلّت على الأولى، وكذلك الخبر الثاني الظاهر دلّ على الخبر الأول المحذوف " [3].

وقد يكون المحذوف هو الحال كما في قوله تعالى: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) (البقرة: من الآية185)، أي: فمن شهده صحيحًا بالغًا، فلو عَرِيت هذه الحال من قرينة المقال التي

---

(1) توامة، عبد الجبار: التعدية والتضمين في الأفعال العربية ، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، بن عكنون، الجزائر، 1994 م، ص 119 ، 120.

(2) ابن جني: الخصائص، ج2، ص 371.

(*) المراغة : الأتان التي تمتنع من الفحول ، و البيت لم أقف عليه في الديوان .

(3) ابن جنّي : الخصائص، ج2 ، ص 375 .

يتضمّنها الكلام وتجرّد الأمر دونها لَمَا جاز الحذف على أي وجه من الوجوه[1]، ويمكن إدراك هذا المعنى من سياق الآية نفسها حين يقول تعالى: (**وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ**) (البقرة: من الآية185)، فشاهد الشّهر هو الإنسان البالغ غير المريض ولا المسافر، وهذه قرينة مقالية نابت عن ذكر لفظ الحال المحذوف .

ومن مظاهر تأثير السياق كذلك، ما نجده في موضوع حروف المعاني التي يقول المرادي (ت 749 هـ) في تعريفها: هي " ما دلت على معنى في غيرها "[2]، ومعنى ذلك كما يقول: " أن دلالة الحرف على معناه الإفرادي متوقّفة على ذكر متعلّقه، بخلاف الاسم والفعل، فإن دلالة كلّ منهما على معناه الإفرادي غير متوقفة على ذكر متعلّق، ألا ترى أنك إذا قلت: (الغلام) فُهم منه التعريف، ولو قلت: (أل) مفردة لم يُفهم منه معنى "[3].

فحروف المعاني إذن: هي وحدات دلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، ومعانيها لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات المجاورة لها، وهذا يدلّ على أن معنى الوحدة الدّلالية يتعدّد تبعًا لتعدّد السياقات التي تقع فيها، فإذا " كان الاستعمال ـ حال التكلم والإخبار ـ يحدّد دلالة اللفظ بالسياق الذي يرد فيه وهو ما يسبق اللفظ وما يلحقه ، فإنّ فيه إشارة واضحة لسياق النص الذي يحدّد الدّلالة في المتعدّد "[4]، فهمزة الاستفهام مثلا: " قد ترد لمعانٍ أخر بحسب المقام والأصل في ذلك هو معنى الاستفهام "[5]،كمعنى التسوية، والتقرير، والتحقيق، والتعجب ... ، ومعنى " اللاّم في الأصل هو الاختصاص وهو معنى لا يفارقها وقد تصحبه معانٍ أخرى "[6]،كالتعليل والدعاء، والأمر ... وذلك بحسب السياق.

وهنا نشير إلى مسألة هامة فيما يخصّ حروف المعاني والمتعلقة بالتّناوب في الدّلالة بين هذه الحروف، وقد كان هذا موضوع خلاف بين النحاة البصريين والكوفيين، ففي حين يرى البصريون أن المناوبة لا تكون في الحروف، إذ " الأصل استعمال كلّ حرف فيما وضع له لئلا يفضي إلى

---

(1) ينظر : ابن جني : المصدر السابق ، ج 2، ص 378 ، 379.

(2) المرادي، الحسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت ، لبنان، 1413 هـ - 1992 م، ص 22.

(3) المرادي : المصدر نفسه ، ص 22.

(4) الطلحي، ردة الله: دلالة السياق ، ص 65.

(5) المرادي: الجنى الداني، ص 31.

(6) المرادي : المصدر نفسه، ص 109.

اللّبس وإسقاط فائدة الوضع " [1]، يجيز الكوفيون ذلك ويحتجّون بما جاء في كتاب الله تعالى وكلام العرب [2].

وقد تناول ابن جني في الخصائص هذه المسألة في باب: استعمال الحروف بعضها مكان بعض فقال: " هذا باب يتلقّاه الناس معسولا ساذجا من الصّنعة، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه، وذلك أنّهم يقولون: إن (إلى) تكون بمعنى (مع)، ويحتجّون لذلك بقول الله سبحانه: (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ) (آل عمران: من الآية52)، أي: مع الله، ويقولون: إنّ (في) تكون بمعنى (على)، ويحتجّون بقوله عزّ اسمه: (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) (طـــه: من الآية71)، أي: عليها ، ويقولون: تكون الباء بمعنى (عن) و(على)، ويحتجّون بقولهم: رميت بالقوس، أي: عنها وعليها..." [3].

ويعقب ابن جنيّ على هذا بقوله: " ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لكنّا نقول: إنّه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الدّاعية إليه والمسوّغة له، فأمّا في كلّ موضع وعلى كل حال فلا ... ألا ترى أنّك إذا أخذت بظاهر هذا القول غفلا هكذا لا مقيّد لزمك عليه أن تقول: سرت إلى زيد وأنت تريد: معه، وأن تقول: زيد في الفرس وأنت تريد: عليه ... ونحو ذلك ممّا يطول ويتفاحش" [4].

فابن جنّي – من خلال ما سبق – يرى وجوب الاحتكام إلى السياق في تبيّن معنى الحرف، وأن استعمال الحروف بعضها مكان بعض لا يكون اعتباطا.

وعلى العموم، فإن إشارات النحاة إلى السياق – بنوعيه – وإن كانت قليلة وغير مصرّح بها في كثير من الأحيان، لتدّل دلالة واضحة على معرفتهم به وببعض عناصره على شكل متفرّق، كالإشارات التي سبقت معنا عن ابن الأنباري وابن جنّي وغيرهما .

---

(1) أبو البقاء، محب الدين عبد الله بن الحسين: اللّباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات ،دار الفكر، ط1، دمشق ، 1995 م، ص 424.

(2) ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج1، ص 478.

(3) ابن جني: الخصائص، ج2، ص 306 ، 307.

(4) ابن جني: المصدر نفسه، ج2، ص 308.

المبحث الثالث:

السياق عند البلاغيين :

تُعدّ عملية إيصال الدلالة إلى قلب السامع الغاية الأساسية للكلام، ومعلوم أن البلاغة في حقيقتها تقوم أساسًا على هذه العملية ممّا يوحي لنا بوجود علاقة وثيقة بين البلاغة والدّلالة، وهو أمر نجده مبثوثا في كتابات البلاغيّين، فها هو الجاحظ ينقل لنا كلاما للعتابي (ت حوالي 220 هـ) يقول فيه: إنّ " كلّ من أفهمك حاجته فهو بليغ " [1]، فالأصل في عملية التبليغ ـ إذن ـ هو القدرة على الفهم والإفهام وإيصال الدلالة.

غير أنّ هذه الدّلالة لم تكن وحدها المطلب الأوحد في البلاغة، إذ نجد إلى جانبها مسألة أخرى والتي تتعلق بالنّاحية الفنّية الجمالية فيها، لذلك رأينا الجاحظ يعقّب على عبارة العتابي السابقة بقوله: " ... وإنّما عَنَى العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء " [2]، أي أنّ عملية التبليغ والإفهام لا تكون إلاّ وفق سنن العرب الفصحاء في كلامها ووفق طرائقها في التعبير.

كذلك نجد أبا هلال العسكري في سياق حديثه عن حدّ البلاغة، يعقّب على كلام العتّابي نفسه بقوله: " وقال العتابي: كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، وإنّما عَنَى: إنْ أفهمك حاجته بالألفاظ الحسنة والعبارة النّيّرة فهو بليغ " [3].

فهو في نصّه هذا يشير إلى مسألة هامّة إلى جانب الدّلالة هي: مسألة الجمال في البلاغة، وقد سبقه الرّماني إلى ذلك حين عرّف البلاغة بأنّها: " إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللّفظ " [4]، لأن الإيصال دون تلك الصورة الحسنة لا يُعدّ بلاغة برأي الرماني [5]. والجمع بين

---

(1) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: درويش جويدي ، المكتبة العصرية، د ط، صيدا ،بيروت، 1423 هـ - 2003 م، ج1، ص 105.

(2) الجاحظ : المصدر نفسه ، ج1، ص 105.

(3) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله: الصناعتين، تحقيق: مفيد قُميحة ،دار الكتب العلمية، ط2، بيروت ، لبنان، 1409 هـ - 1989 م، ص 20

(4) الرماني: النكت في إعجاز القرآن ، ص 75 ، 76.

(5) ينظر: الرماني : المصدر نفسه ، ص 75.

الجانبين: الدلالي و الجمالي في البلاغة أمر هام، ذلك أنّ " الكلام إذا كانت عبارته رثّة، ومعرضه خِلقا، لَمْ يُسمَّ بليغا، وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى " [1].

فليست البلاغة إذن، إيصال المعنى أو إفهامه فقط، بل إنّ من زعم ذلك ، فقد " جعل الفصاحة واللّكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمعرّب كلّه سواء " [2].

وهذا الجانب الجمالي كثيرا ما ارتبط لدى البلاغيين بفكرة المقام، فـ " أكثر ما يُستحسن ويُستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتى بحسب المواضع، فقد يحسن في موضع ما يقبح في موضع، ويقبح في موضع ما يُحسن في موضع، ولا يقف الإنسان على تلك المواضع إلاّ بطول المزاولة " [3].

والذي نخرج به من خلال ما سبق، أن البلاغة فيها جوانب ثلاثة مجتمعة هي: الدلالة والجمال والمقام . و يعدّ المقام الأساس الأول الذي قامت عليه والذي عبّر عنه البلاغيّون بعد ذلك بقولهم: " لكل مقام مقال " ، فقد ذهب بشر بن المعتمر (ت 210 هـ) – فيما نقله عنه الجاحظ – إلى أنّ: " المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة، وإنّما مدار الشرف على الصّواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال " [4]، وهذا فيه إشارة واضحة إلى مراعاة المقام في المقال، وإلى أن بينهما توافقا وتناسبا يستند فيه الثاني إلى الأول .

ثمّ يقول بشر بعد ذلك: " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكلّ حالة من ذلك مقاماً، حتّى يُقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات " [5]. فقوله: " ولكل حالة من ذلك مقاما" يدلّ على أنّ المراد بالمقام عنده هو حال المستمعين أو المخاطبين .

---

(1) العسكري: الصناعتين، ص 19.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين ، ج1، ص 105.

(3) القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوخة ،دار الكتب الشرقية، د ط، تونس، 1966 م، ص 88.

(4) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص 91.

(5) الجاحظ: المصدر نفسه، ج1، ص 92.

ويشير في موضع آخر إلى أن الألفاظ التي يستخدمها المتكلم أو البليغ لابدّ أن تتناسب وحال المخاطبين، حيث يقول: " فإن كان الخطيب متكلّما تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عبّر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم وإلى تلك الألفاظ أميل وإليها أحنّ وبها أشغف " [1].

ويؤكد الجاحظ كلام بشر هذا حيث يقول: "... وقد أصاب القوم في ما وُصفوا إلاّ أنّي أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني، وقد يُحتاج إلى السخيف في بعض المواضع، وربّما أمتع بأكثر من إمتاع الجزلِ الفَخْمِ من الألفاظ الشريفة الكريمة للمعاني " [2].

وقضية مراعاة المقام في المقال التي تحدّث فيها كلّ من بِشر بن المعتمر والجاحظ، قد أشار إليها ابن المقفع (ت 145 هـ) من قبل، حيث نقل عنه الجاحظ قوله: " إذا أعطيت لكل مقام حقّه، وقُمتَ بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتمّ بما فاتك من رضا الحاسد والعدو " [3].

فالمقصود بالمقام إذن هو كل ما أحاط بالكلام من مواقف وظروف وملابسات، وعلى المتكلّم أن يعرفها، فيوجز متى كان الإيجاز ويطنب متى استدعى المقام ذلك[4].

كلّ ما سبق من كلام من المقام يُعرف لدى الغربيين بـ(سياق الحال)، يقول تمام حسان: " وحين قال البلاغيون: لكل مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على المعنى في كلّ اللغات لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتّطبيق في إطار كلّ الثقافات على حدّ سواء، ولم يكن (ما لينوفسكي) [*] وهو يصوغ مصطلحه الشهير (Context of Situation) يعلم أنّه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها " [5].

---

(1) الجاحظ : المصدر السابق ، ج1، ص 92 .

(2) الجاحظ : المصدر نفسه ،ج1، ص 96 .

(3) الجاحظ: المصدر نفسه ، ج1، ص 79.

(4) ينظر: الجاحظ : المصدر نفسه ، ج1، ص 79.

(*) مالنيوفكسي: برونيسلو (1884-1942): أنثروبولوجي بولندي، ابتكر مفهوم سياق الموقف حينما واجهته مهمة ترجمة مفردات وجمل من النصوص الإثنوغرافية في الجزر التروبرايندية شرقي غينيا الجديدة إلى لغة إنجليزية مفهومة.

(5) حسان، تمام : اللغة العربية معناها مبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة ،1973م ، ص 372 .

ويؤكّد العسكري على قضية مراعاة حال المخاطب وكلّ ما يتّصل بالخطاب من ظروف وأحوال... فيقول: " فأوّل ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك... مكاتبة كل فريق منهم [أي المخاطبين] على مقدار طبقتهم وقوّتهم في المنطق " [1]، ويستشهد على ذلك بفعل النبي -صلى الله عليه وسلم- " لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس، كتب إليهم بما يمكن ترجمته... فسهّل الألفاظ... غاية التّسهيل حتّى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة بالعربيّة، ولمّا أراد أن يكتب إلى قوم من العرب، فخّم اللّفظ لما عُرف من فضل قوتهم على فهمه، وعادتهم لسماع مثله " [2].

والأمر نفسه نجده عند قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) قبله، حين تحدّث عن المدح وأنّه يختلف بحسب درجة الممدوح ومرتبته، يقول: " أما مدح ذوي الصّناعات، فأن يَمدح الوزير الكاتب بما يليق بالفكرة والرّوية وحسن التّنفيذ والسّياسة، ... وأمّا مدح القائد فبما يجانس البأس والنّجدة، ويدخل في باب الشّدّة والبطش والبسالة... وأمّا مدح السّوقة من البادية والحاضرة، فينقسم بحسب انقسام السّوقة إلى المتعيّشين بأصناف الحرف وضروب المكاسب وإلى الصّعاليك... ومن جرى مجراهم " [3].

ويتّسع الأمر في دائرة المقام ليشمل -إلى جانب مراعاة حال المخاطب- الغرض الذي يساق فيه الكلام، يقول القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت 366 هـ) في سياق حديثه عن اللّفظ والمعنى: "...أرى لك أن تقسّم الألفاظ على رتب المعاني... فتلطّف إذا تغزّلت، وتفخّم إذا افتخرت، وتتصرّف للمديح تصرّف مواقعه، فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميّز عن المدح باللّباقة والظّرف، ووصف الحرب والسّلاح ليس كوصف المجلس والمُدام، فلكلّ واحد من الأمرين نهج هو أملك به وطريق لا يشاركه الآخر فيه..." [4].

فنرى -من خلال النص- أن الغرض يتحكم في خصائص الكتابة وكذا خصائص الكلام، أي أن المناسبة اللّفظية والمعنوية بين الكلام والغرض أمر لابد منه .

---

(1) العسكري: الصناعتين، ص 172.

(2) العسكري : المصدر نفسه، ص 172.

(3) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: كمال بشر ، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1979م، ص 85 ، 86 .

(4) الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز : الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 1427هـ-2006م، ص 30.

وهذه المناسبة بين الكلام والغرض، نجدها عند ابن رشيق (ت 463هـ) حين قال: " أول ما يحتاج إليه الشّاعر بعد الجدّ الذي هو الغاية وفيه وحده الكفاية، حسن التّأتّي والسّياسة، وعلم مقاصد القول، فإن نسب ذلّ وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أقلّ وأوجع، وإن فخر خبّ ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حنّ ووجع، ولتكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان ليدخل إليه من بابه، ويداخله في ثيابه، وذلك هو سرّ صناعة الشّعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس، وبه تفاضلوا وقد قيل لكل مقام مقال " [1].

فعبارة "لكل مقام مقال" في نهاية النّص، يُفهم منها أنّ المقصود بالمقام هو الغرض الذي يساق فيه الكلام، وقوله:" علم مقاصد القول" و" معرفة أغراض المخاطب" دليل على ذلك. وإذا كان الشعر يُساق ويصاغ وفق مناسبات الأغراض والمقام ، فإن هذه الأغراض تعين في فهم غيْر الواضح من النّصوص الشّعرية، مثال ذلك قول المتنبّي:

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَّلْتُ مِنْكَ فَرُبَّمَا شَرِبْتُ بِمَاءٍ يُعْجِزُ الطيْر وِرْدُهُ [*]

فقد ذهب ابن الأثير إلى القول: " إنّ هذا البيت يحتمل مدحاً وذمًا، وإذا أخذ بمفرده من غير نظر إلى ما قبله فإنه يكون بالذّم أولى منه بالمدح لأنّه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ، وصدر البيت مفتتح بـ (إن) الشرطية وقد أجيب بلفظة (رُبّ) التي معناها التقليل، أي: لستُ من نوالك على يقين، فإن نلته فربّما وصلت إلى مورد لا يصل إليه الطّير لبعده، وإذا نظِر إلى ما قبل هذا البيت دلّ على المدح خاصة لارتباطه بالمعنى الذي قبله " [2]. ففي النّص ما يشير إلى غرض المتكلّم من الخطاب .

وما نجده في كتابات العسكري ليس ببعيد عن هذا المضمار، فقد قال متحدثا عن الغرض باعتباره أحد العوامل المتحكّمة في خصائص الخطاب: "وسبيل ما يكتب به في باب الشّكر أن لا يقع فيه إسهاب... وسبيل ما يكتب به التابع إلى المتبوع في معنى الاستعطاف ومسألة النّظراء، ألاّ

---

(1) القيرواني، أبو علي الحسن ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1422هـ-2001 م ، ص 208 .

(*) ديوان أبي الطيب المتنبي: شرح وتحقيق: مصطفى سبيتي ، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، لبنان، د ت،ج2، ص 218.

(2) ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص 47.

يكثر من شكاية الحال ورقّتها واستيلاء الخصاصة... بل يجب أن يجعل الشّكاية ممزوجة بالشّكر والاعتراف بشمول النّعمة وتوفير العائدة " [1].

وهذا النص بما يتضّمنه من الكلام عن الغرض في الخطاب، فيه إشارة إلى عامل آخر يدخل ضمن دائرة المقام وهو : العلاقة بين المخاطِب والمخاطَب، ويظهر ذلك في قوله:" ما يكتب به التابع إلى المتبوع"، وهذه العلاقة قد " أولى لها الغربيّون عناية كبرى في نظريّة السياق " [2].

وهكذا فقد شاع عند البلاغيين وأجمعوا على أنّ: " بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال الذي يورد فيه... و مقتضى الحال هو الصورة المخصوصة التي ترد في الكلام زائدة على أصل معناه، اقتضاها الحال واستدعاها المقام " [3].

والذي تجب الإشارة إليه هنا، أن أغلب البلاغيين يوحّدون بين مصطلحي الحال والمقام حيث يُستخدمان بمفهوم واحد، يقول الخطيب القزويني (ت 739هـ) :"... ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التّنكير يباين مقام التّعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذّكر يباين مقام الحذف ... وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام "[4]. فالرّبط بين أول النص وآخره يفضي إلى نتيجة هي: أنّ الحال والمقام أمر واحد ولا تغاير بينهما في المفهوم.

من خلال ما سبق، يمكننا أن نجمل عناصر المقام في ثلاثة أمور وهي: المخاطِب والمخاطَب وغرض الخطاب، وكلّها منفردة أو مجتمعة تتحكّم في دلالة الخطاب، " فهناك أحوال يُنظر فيها إلى المتكّلم؛ أي أن المتكلّم يكيّف كلامه في بعض الأحيان استجابة لحالته هو الّتي يحسُّ بها... كما أنّ هناك أحوالا لا ترجع إلى المخاطِب بل إلى غيره، وبهذا يتّضح أن صاحب الحال قد يكون ذات المتكلّم وقد يكون مخاطبا وهو الغائب، وقد يكون غيرهما " [5]، كأحوال المخاطبين مثلا،

---

(1) العسكري: الصناعيتين، ص 174.

(2) بودوخة، مسعود: السياق وأثره في الدلالة، ص 71.

(3) المراغي، أحمد مصطفى: علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع ، دار إحياء التراث الإسلامي، ط1، مكة المكرمة، 1992م، ص 36، 37 .

(4) القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأخيرة، بيروت، لبنان،2000م ، ص 32 ، 33 .

(5) زموط، عبد الستار حسين: من سمات التراكيب؛ دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، مصر ، القاهرة ، 1413 هـ، 1992م ، ص 28.

فهذه تمتدّ لتشمل الظروف الّتي تحيط بهم -أي بالمخاطبين- ، فالبليغ لا يتمكّن " من توفية التعبير حقّه... إلّا إذا أحاط بجميع الظروف التي يتأثرون بها وتشكّل أمزجتهم واتجاهاتهم... كتحديد البيئة التي يسكنونها وحالة المناخ السائد فيها، ونوع المهنة التي يشتغلون بها، وأحوالهم المعيشية والسّياسية التي يخضعون لها والمذاهب التي يعتنقونها، وغير ذلك من الظّواهر الاجتماعية الّتي تؤثر في أجسام النّاس وعقولهم، والوقوفُ عليها أمرٌ مهمٌ للبليغ " [1].

وهذه القضية قد أشار إليها السّكّاكي في كتابه (مفتاح العلوم) في سياق حديثه عن مناسبة الجمع بين الألفاظ دون بعض فيقول: " ولصاحب علم المعاني فضل احتياج في هذا الفن إلى التنبّه لأنواع هذا الجامع والتّيقّظ لها... فمن أسباب تجمع بين صومعة وقنديل وقرآن، ومن أسباب تجمع بين دسكرة * وإبْريق وأقران " [2]، ويستشهد بمثال على ذلك قوله تعالى: (**أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**) (الغاشية: 17 _20) . فالغرابة في الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض أمر ذو بال لدى " من لم يكن من الأعراب أو يعرف ما يتعلق بحياتهم وعليه معاشهم " [3]، وذلك كما - يقول السكاكي-: " لبعد البعير عن خياله في مقام النظر، ثمّ لبعده في خياله عن السماء، وبعد خلقه عن رفعها وكذا البواقي" [4] ، لكنّ تعرّف حياة أولئك الأعراب سوف يُعين حتما على معرفة سبب الجمع بين تلك الألفاظ، وهو أمر يدخل ضمن السياق الاجتماعي لهم" وذلك... أن أهل الوبر إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي، كانت عنايتهم مصروفة لا محالة إلى أكثرها نفعا وهي الإبل، وإذا كان انتفاعهم بها لا يتحصّل إلّا بأن ترعى وتشرب، كان جلّ مرمى غرضهم نزول المطر، وأهم مسارح النّظر عندهم السماء، ثم إذا كانوا مضطرّين إلى مأوى يأويهم، وإلى حصن يتحصّنون فيه، لا مأوَى ولا حصنَ إلاّ الجبال " [5].

---

(1) فريد، فتحي: المدخل إلى دراسة البلاغة، مكتبة النهضة المصرية، د ط، القاهرة، 1982م، ص 55 ، 56.

(*) الدّسكرة: بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم، يكون فيها الشراب والملاهي.

(2) السكاكي: مفتاح العلوم، ص 366.

(3) بودوخة، مسعود: السياق وأثره في الدلالة، ص 73.

(4) السكاكي: مفتاح العلوم، ص 366.

(5) السكاكي : المصدر نفسه، ص 366.

وهكذا فإن البعد الذي أولاه البلاغيون من قبل اعترف به المحدثون؛ يقول تمام حسّان: " أجد لفظ المقام أصلح ما أعبّر به عمّا أفهمه من المصطلح الحديث: سياق الحال (Context of situation) الذي يستعمله اللّسانيون المحدثون " [1].

أما السياق اللغوي فإنّ اهتمام البلاغيّين به لا يقلّ عن سابقه، ويتجلى ذلك من خلال دراستهم للأساليب والجمل، فقد راعوا القرائن والتمسوا من خلالها دلالات الكلام ومعانيه وأغراضه، وتعدّ نظرية النظم مجالا تطبيقيا رحباً، فهي تقوم على فكرة مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ ذلك أن نظم الكلم كما يعبّر عنه الجرجاني أن " تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضمّ الشّيء إلى الشّيء كيف جاء واتفق " [2].

فهذا النص على غاية من الأهمية في بيان العلاقة بين ألفاظ الكلام وترتيبها على ترتّب المعاني في النفس، وعلى حسب الأغراض التي يُساق لها الكلام .

وهذه النظرة إلى تركيب الألفاظ وترتيبها أدّت بعبد القاهر إلى صرف النظر عن الحكم بفصاحة الكلمة مفردةً، وإنما يحصل لها ذلك من خلال السياق الذي تستعمل فيه حيث يقول: " ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها ممّا يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى غير وصف الكلام بحسن الدّلالة وتمامها فيما كانت له دلالة " [3].

ويؤكد الجرجاني هذا الأمر في أكثر من موضع من كتابه (دلائل الإعجاز) وحتى في كتابه (أسرار البلاغة) حيث يقول: " ومن البيّن الجلّي أنّ التّباين في هذه الفضيلة والتّباعد عنها إلى ما ينافيها من الرّذيلة ليس بمجرّد اللّفظ، كيف والألفاظ لا تفيد حتى تؤلّف ضربا خاصّا من التّأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التّركيب والتّرتيب؟ " [4]، أي أنّ الألفاظ لا يحكم لها بالحسن أو القبح إلا ضمن السياق الذي تكون فيه.

---

(1) حسان، تمام : الأصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، 1982م،ص339.

(2) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 82.

(3) الجرجاني : المصدر نفسه ، ص 77.

(4) الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف ، دار الجيل، ط1، بيروت، 1419هـ، 1991م ، ص 22.

وقد غدت فكرة النظم بهذا المفهوم ترجمة للمبدأ البلاغي: " لكل مقام مقال "، أما التّطبيقات العمليّة لجوانب هذه النّظرية فقد تجلّت في مباحث علم المعاني على وجه الخصوص، كنوع الجملة وما يحدث بين عناصرها من حذف وذكر، وتقديم وتأخير ...

فالجملة الاسمية مثلا: " تفيد بأصل وضعها ثبوت الحكم ... بلا نظر إلى تجدّد ولا استمرار ... ولكن قد تحفّ بها قرائن أخرى تُستفاد من سياق الكلام... فتفيد الدّوام والاستمرار... كقوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:4) ، فسياق الحديث في معرض المدح دالّ على إفادة الاستمرار والدّوام "[1].

وألفاظ الاستفهام قد تخرج من دلالتها الأصليّة لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام، كخروج معنى الاستفهام للدّلالة على التّعجب والتّنبيه والتّقرير وغير ذلك.

ومن معالم السياق اللغوي لدى البلاغيين أيضا، ما اشترطوه في باب الحذف من أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف كقولنا: أهلا وسهلا، فإنّ نصب الأهل والسّهل يدلّ على ناصب محذوف مقدّر نحو: حلَلْتَ أهلا ونزلت سهلا [2].

وبصفة عامّة: فإن البلاغيين ينطلقون ممّا أسموه مقتضى ظاهر الحال، ويلاحظون ما يطرأ عليه من عدول فيبحثون عن سبب العدول مستعينين في ذلك بالقرائن والسياق، وهو مدار البلاغة العربية ومعتمدها في فهم دلالة الخطاب مقروناً بالصحة والحسن والفصاحة .

---

(1) المراغي: علوم البلاغة ، ص 55.

(2) المراغي : المرجع نفسه ، ص 82 .

المبحث الرابع :

السياق عند المفسرين :

إنّ علوم اللغة والنحو والصرف والبلاغة من العلوم الضرورية اللّازمة لتفسير القرآن، ذلك " أنّ النظر إلى ما تستحقّه ألفاظ القرآن من الدّلالة والبيان بهما المعرفة اللّغوية من نحو وصرف ولغة وبلاغة ... وهي مفيدة في معرفة طرق تركيب الكلام وأساليبه، والقرآن الكريم كلام الله بلسان العرب " [1].

ولا شكّ أنّ علوم العربية هذه – على ضرورتها في فهم القرآن وتفسيره – كانت في بادئ الأمر تُعرف عند العرب بالفطرة والطبع لا بالتعلّم والاكتساب، لكنّ هذه المعارف – فيما بعد– صارت علوماً قائمة بذاتها واستقلّت بمباحثها ثمّ احتيج إليها في التّفسير، يقول ابن خلدون (ت 808 هـ): "... اعلم أنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه... حتى صارت عُلُوم اللّسان صناعيّة من الكلام في موضوعات اللّغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التراكيب... بعد أن كانت مَلَكات للعرب لا يُرجع فيها إلى نقل ولا كتاب... وصارت تُتلقّى من كتب أهل اللّسان، فاحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن " [2].

لذلك رأينا القرآن الكريم – وعلى الرّغم من مكانته المقدّسة بكونه كلام الله تعالى، ومصدر التّشريع الأوّل – قد تناوله المفسّرون بالدّراسة والتّحليل؛ لغويا و نحويا وبلاغيا وفقهيا ... بل إنّ تناولهم له " من الناحية اللغوية والدلالية منها بوجه خاص أفضى إلى الاهتمام بتحليل النص (الآية – السورة – السور) تحليلا نصّيا يعتمد المعطيات اللغوية من تركيبية (صوتية وصرفية ونحوية)، ودلالية (لفظية وتركيبية أسلوبية – معاني وبيانا–)، وهذا التحليل بدوره أفضى إلى نمط من التّحليل لم تحظ به نصوص غير القرآن " [3].

فإذا كان العلماء قد تناولوا القرآن بالتحليل على اختلاف اختصاصاتهم اللغوية والنحوية والبلاغية ... فإن عمل المفسرين قد شمل جميع تلك الاختصاصات، وكان " الأكثر تناولا للقرآن

---

(1) الطلحي، ردة الله بن ردة: دلالة السياق، ص 112.

(2) بن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، تحقيق: عبد الله البستاني ، مكتبة لبنان، ط4، 1990 م، ص 438 ، 439.

(3) الطلحي، ردة الله بن ردة: دلالة السياق، ص 110.

الكريم بالبحث فيما يتعلق بكل ما تناوله الآخرون " [1]، وبذلك استقرّ مفهوم التفسير على أنّه: العلم الذي " يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم- وبيان معانيه و استخراج أحكامه و حِكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ " [2].

وكما هو معلوم، فإن لتفسير القرآن طريقين هما : التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي .

فعن الأول يقول ابن تيمية (ت 728 هـ): " إن أصحّ الطّرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك، فعليك بالسّنة فإنها شارحة للقرآن وموضّحة له " [3] ، ثمّ يقول: " فإن لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التّام والعلم الصحيح والعمل لاسيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الرّاشدين والأئمة المهتدين المهديّين " [4]. فالتفسير بالمأثور يعتمد أساسا القرآن والسنة وأقوال الصحابة.

أما الطريق الآخر للتفسير وهو التفسير بالرأي ، فهو " عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ ..." [5]، ونشير هنا إلى أنّ العلماء قد اختلفوا حول هذا النّوع من التفسير فانقسموا في ذلك بين مؤيد ومنكر، كما قسّموه إلى جائز ومذموم [6].

وإذا كان السّياق قد حَظي باهتمام العلماء في مختلف الميادين، فإنه كذلك وسيلة هامة لدى علماء التفسير، والمعوّل عليه في الكشف عن معاني القرآن الكريم وفهمه، وقد أشار السّيوطي إلى

---

(1) الطلحي، ردة الله بن ردة : المصدر السابق ، ص 104.

(2) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص 570.

(3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مقدمة في التفسير،(ضمن الفتاوى) ، تحيقيق: حسنين محمد مخلوف،دار المعرفة،ط1، بيروت، 1386 هـ، ج13، ص 363 .

(4) ابن تيمية : المصدر نفسه ، ج13، ص 364.

(5) الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، ط2، 1396 هـ - 1976 م، ج1، ص 255.

(6) ينظر: الذهبي : المصدر نفسه، ج1، ص 255 وما بعدها.

هذا الأمر فقال: " وأما ما لم يردْ فيه نقل فهو قليل، وطريق التّوصل إلى فهمه، النّظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق " [1].

ولعلّ من أحسن الكتب التي أُلّفت في غريب القرآن في هذا المجال، " كتاب المفردات للراغب (ت 502 هـ)، وهو يتصيّد المعاني من السياق " [2].

وتظهر أهمية السّياق كذلك من حيث كونه " يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوّع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم " [3].

ويفهم من هذا، أنّ الدّلالة على المراد لا يكفيها الأخذ بظاهر المعنى في الكلام، وهو الأمر الذي حدا بالمفسرين إلى أن يلجؤوا إلى السياق لتبيان ذلك، وفي هذا الصّدد يقول الزّركشي (ت 797 هـ): " ومن أحاط بظاهر التفسير - وهو معنى الألفاظ في اللّغة - لم يكف ذلك في فهم حقائق المعاني " [4]، ويضرب مثالا على ذلك قوله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (الأنفال: من الآية17) . " فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامضة، فإنّه إثبات للرّمي ونفي له، وهما متضادّان في الظّاهر ما لم يفهم أنّه رمى من وجه و لم يرم من وجه، ومن الوجه الذي لم يرم ما رماه الله عزّ وجلّ " [5]، لذلك نجد ابن تيمية في سياق حديثه عن الاختلاف في تفسير القرآن الكريم يميّز بين صنفين من المفسّرين هما: " قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها، وقوم فسّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من النّاطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلّم بالقرآن والمنزّل عليه، والمخاطب به " [6].

---

(1) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص 583.

(2) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 291.

(3) الزركشي : المصدر نفسه ، ج2، ص 200.

(4) الزركشي : المصدر نفسه ، ج2، ص 155.

(5) الزركشي : المصدر نفسه، ج2، ص 155 ، 156.

(6) ابن تيمية: مقدمة في التفسير، ج13، ص 255.

ثم يفصّل في بيان هذين الصّنفين بقوله: فــ " الأوّلون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظـــر إلى ما تستحقّه ألفاظ القرآن من الدّلالة والبيان، والآخرون راعوا مجرّد اللّفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربيّ من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام "[1].

وكما يبدو، فإنّ كلا الفريقين مخطئ في نظرته إلى تفسير القرآن باعتباره كلاًّ متكاملاً، ومراعـــاة السياق فيه أهم ما يجب على المفسّر بما في ذلك مراعاة المتكلم به والمترل عليه والمخاطَب به، و " لهذا كان لا بدّ لمن يتعرّض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولا، فيجمع ما تكرّر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستعين بما جاء مسهبا على معرفة ما جاء مجمــــلا، وليحمل المطلق على المقيّد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسّر القرآن بالقرآن "[2]

ومن الأمثلة على ذلك ما فسّر به الرسول -صلى الله عليه وسلم- قوله تعـــالى: (وَلَـــمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) (الأنعام: من الآية82) ، لمّا نزلت سأل الصحابة : أيّنا لم يظلـــم نفســـه؟! ففسّره النبي -صلى الله عليه وسلم- بالشرك [3]، واستدلّ عليه بقوله تعالى: (إِنَّ الشِّـــرْكَ لَظُلْـــمٌ عَظِيمٌ) (لقمان: من الآية13). فهو بهذا يستند في تفسير الآية وشرح دلالتها إلى ما يجاورها مـــن الآيات الأخرى السّابقة لها أو اللّاحقة، التي تشكّل ما يسمّى القرائن اللفظية أو المقالية، والـــتي تمثّل السياق اللغوي .

وإذا كان السياق اللغويّ يُعين على فهم دلالة الآيات ويُساهم في توضيح المعنى، فإن الأمر نفسه بالنسبة إلى سياق الحال الذي يشكل الظروف المحيطة بالكلام، وهو ما "يبـــدو في أقـــوال الصحابة في التفسير لأنهم شاهدوا القرائن والأحوال "[4]، التي صاحبت نزول الآيات، وهنا يبرز دور أسباب النّزول في توضيح الموقف الذي اقتضى نزول الآيات باعتبارها -أي الأسباب- خـــير معين على فهم الآيات والمراد منها، يقول ابن تيمية: " ومعرفة سبَبِ الترول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسّبَب يورِّث العلم بالمُسَبّب "[5].

---

1) ابن تيمية : المصدر السابق ، ج13، ص 255.

2) الذهبي: التفسير والمفسرون،ج1، ص 37.

3) ينظر : الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: [illegible]

[illegible]

ومن الأمثلة عن أسباب النّزول وأهميتها في تفسير الآية وفهمها، قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة:158) .

حيث يُروى عن عروة أنه قال : " قلت لعائشة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم-: أرأيت قول الله: ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ** ...الآية ﴾ ، فما أرى على أحدٍ شيئا ألاّ يطوّف بهما، فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أخي، إنّها لو كانت على ما أوّلتها عليه كانت: فلا جُناح عليه أن لا يتطوّف بهما، ولكنّها إنّما أنزلت على الأنصار، قبل أن يسلموا كانوا يهلّون لمناة الطاغية، وكان من أهلّ لها يتحرّج أن يطّوّف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله –صلى الله عليه وسلّم- فقالوا: يا رسول الله إنّا كنّا نتحرّج أن نطّوّف بالصّفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ** ﴾ "[1].

ومن الأمثلة كذلك، ما يروى عن مروان بن الحكم حول فهمه لقوله تعالى : ﴿ **لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (آل عمران:188) . حيث قال: " لئن كان كلّ امرئ منّا فرح بما أتى وأحبّ أن يُحمد بما لم يفعل معذّبا، لنُعذّبن أجمعون، فقال ابن عباس: " ما لكم وهذه ؟ إنّما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب، سألهم النبي –صلى الله عليه وسلم- عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، فخرجوا وقد أَرَوْهُ أنّهم قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه "[2].

ومن القرائن الحالية في التفسير -إضافة إلى أسباب الترول- مايتعلّق بالمخاطب، والقرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وكون الذّات الإلهية لا يمكن الإحاطة بها، فإنّه ينتج عن ذلك " عدم إمكان معرفة القصد في الكثير من الأحيان "[3]، ومراعاة هذا المخاطب أو " النّظر إلى المتكلّم بهذا القرآن هو مراعاة ما يصلُح له من حسنِ تفسير الأسماء والصفات المتعلقة به "[4].

---

(1) السيوطي، جلال الدين: لباب النقول في أسباب الترول، تحقيق: محمد محمد تامر ، مكتبة مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية، ط2، 1425هـ-2004م ، ص 28، 29 .

(2) السيوطي : المصدر نفسه ، ص 70.

(3) بودوخة، مسعود : السياق وأثره في الدلالة ، ص 93.

(4) الطلحي، ردة الله بن ردة: دلالة السياق، ص 112.

أما ما يتعلق بالمخاطب، فقد حظي بأهمية كبرى من قبل المفسّرين حيث " أدركوا أن دلالة النّص تختلف باختلاف من يوجّه إليه الخطاب " [1]، فمنهم المؤمنون ومنهم الكافرون، ومنهم المكّيون ومنهم المدنيّون، فالحديث " عن المكّي والمدني [في القرآن الكريم] - وهو حديث تناول بالإشارة أماكن نزول الآيات-... يُفهم منه حال المشمولين بهما " [2]، أي أهل مكّة وأكثرهم مشركون، وأهل المدينة وأكثرهم مؤمنون. فنحن -إذن - أمام خطاب واحد هو القرآن وحالين مختلفين للمخاطبين به، وطبيعي أن تختلف دلالة الخطاب في كلا الحالين .

من ناحية أخرى، فإن اهتمام المفسّرين بالسّياق في تفسير القرآن الكري جعلهم يكتشفون العديد من الخصائص التي يتميّز بها النّص القرآنيّ عن سائر النّصوص الأخرى ، فمن بين أهمّ الخصائص النّصّية التي كشفَ عنها اللّسانيّون المحدثون ما يُعرف بـ: ظاهرة الاتّساق والتّرابط، فـ " النصّ منتوج مترابط متّسق ومنسجم، وليس تتابعا عشوائيا لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلامية... والاتّساق من الشّروط الأساسية لبناء نصّيّة المعنى ... ولاتستقيم نصّية القطعة إلاّ بانسجامها، وهذا يأتي عند إدراج النّص ضمن إطار السّياق، ولا يكتمل إلاّ إذا اكتملت كلّ أبعاد النص " [3].

غير أن المفسّرين قد تنبّهوا إلى هذه الظّاهرة من قبل، وإلى وجودها في النصّ القرآنيّ وحاولوا الكشف عنها، يقول السيوطي: " المناسبة في اللغة: المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلّيّ أو حسّي أو خيالي ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التّلازم الذّهني، كالسّبب والمسبّب، والعلّة والمعلول، والنّظيرين والضّدّين ونحوه، وفائدته: جَعْلُ أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليفُ حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " [4].

وهذا الأمر جعل المفسّرين يتّجهون نحو منحًى آخر في التّفسير وهو البحث عن العلاقة بين الآيات والسّور، وهو المعروف بالتّناسب أو المناسبة، وهذا " التّناسب الذي بحثه المفسّرون وبعض البلاغيّين، ليس إلاّ تناميا لما قاله الأعرابيّ الذي ربط بين أوّل الآية وآخرها ربطاً تجاوز المعنى

---

(1) بودوخة، مسعود: السياق وأثره في الدلالة، ص 93.

(2) الطلحي،ردة الله بن ردة: دلالة السياق، ص 113.

(3) الإبراهيمي، خولة طالب: مبادئ اللسانيات، دار القصبة، د ط، الجزائر،2000م، ص 169.

(4) السيوطي: الإتقان، ص 471.

المعجميّ في موضعه إلى العلاقة بين الكلمات معجميا " [1]، وذلك في قوله تعالى: (**فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) (البقرة:209) .حيث رُوي " أن كعب الأحبار لما أسلم كان يتعلّم القرآن، فأقرأه الذي كان يعلّمه: فاعلموا أن الله غفور رحيم، فقال كعب: إنّي لأستنكر أن يكون هكذا، ومرّ بهما رجل فقال كعب: كيف تقرأ هذه الآية ؟ فقال الرجل: (**فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)، فقال كعب: هكذا ينبغي، وعزيز لا يمتنع عليه ما يريده، حكيم فيما يفعله " [2].

وهذا التّناسق بين أوّل الآية وآخرها والتّناسب بين أجزائها يدخل ضمن نوع خاصّ في علوم القرآن هو: معرفة الفواصل ورؤوس الآيات، يقول الزركشي: " اعلم أنّ من المواضع التي يتأكّد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره... فلا بدّ أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أوّلا، وإلّا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن لا تخرج عن ذلك " [3].

وإذا كان هذا التّناسق والتّرابط في الآية الواحدة من القرآن الكريم، فإن الآيات داخل السورة نفسها ليست بمنأى عن ذلك، وهو أمر يُدرك عن طريق السّياق الكلّي للسّورة والغرض الذي سيقت له، يقول السيوطي: " الأمر الكلّي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنّك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السّورة، وتنظر إلى ما يحتاج إليه ذكر الغرض من المقدّمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدّمات... فهذا هو الأمر الكلّيّ المهيمن على حكم الرّبط بين جميع أجزاء القرآن " [4].

وهكذا تكون كل سورة قرآنية كالبناء الواحد يشدّ بعضه بعضا، تتلاحم أجزاؤها وتترابط عناصرها لتتماشى والغرض العام للسّورة، وحتى وإن لم يكن هذا التّلاحم بروابط ظاهرة " فلا بدّ من دعامة تؤذن باتّصال الكلام وهي قرائن معنوية تُؤذن بالرّبط " [5].

---

(1) الطلحي،ردة الله بن ردّة: دلالة السياق، ص 117.

(2) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح: تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، ط2، القاهرة، 1372 هـ ، ج3، ص 24.

(3) الزركشي: البرهان، ج1، ص 78.

(4) السيوطي: الإتقان، ص473.

(5) السيوطي : المصدر نفسه ، ص 472 . وينظر: درّاز، محمد عبد الله: النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، ط 8 ، الكويت، 1416هـ 1996م، ص 155.

من خلال ما سبق، يمكن القول: إنّ السّياق كان له مكان خاص في عمـــل المفســـرين، إذ شكّل جانبا كبيراً من منهجهم في تفسير القرآن وتبيان معاني الآيات ودلالاتها، شأنُهم في ذلـــك شأن غيرهم من العلماء الّذين اعتمدوا السّياق وسيلةً للكشف عن المعنى وإدراكه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

أثر السياق في البنية الإفرادية

المبحث الأول: المتغيرات الصرفية

المبحث الثاني: المتغيرات المعجمية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

المتغيرات الصرفية:

نقصد بالمتغيّر الصّرفي العنصر اللّغويّ الذي يؤدّي إحدى الوظائف الصّرفية ويأتي في تركيبين متشابهين بصورتين مختلفتين. ومن العناصر اللّغوية التي رصدنا تغيّرها بحسب السياق: الأداة ، والصّيغة، والعدد، والتّعيين، والنّوع.

1- الأداة:

هي حروف المعاني على اختلافها، وأكثر ما جاء منها حروف العطف، ومن أمثلتها أن يرد التركيب في موضع بحرف الفاء و في موضع آخر بحرف الواو كما في:

قوله تعالى:(**فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا**) (الكهف: من الآية61) .

وقوله تعالى:(**وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**) (الكهف: من الآية63) .

فقد عطفت جملة (فاتخذ سبيله) في الآية الأولى بالفاء التي تفيد معنى التّرتيب والتعقيب، بينما عطفت في الآية الثّانية بالواو التي أفادت معنى التّرتيب وحسب .

ويرى الكرماني أنّ ورود الواو في الآية الثانية، كان بسبب الحائل الذي وقع بين جملتي: (فإني نسيت الحوت) و(واتخذ سبيله)، وهو قوله: (**وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**) (الكهف: من الآية63)، الذي زال معه معنى التعقيب، فكان العطف بالواو أولى[1]، حيث قال تعالى:(قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) (الكهف:63) . فالسياق في الآية هو القرينة التي من أجلها كان الاختلاف في استعمال الحرفين.

وقد تكون القرينة في آيات تقدّمت التركيب أو تأخّرت عنه، من ذلك:

قوله تعالى: (**فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**) (التوبة:55) .

وقوله تعالى: (**وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**) (التوبة:85) .

وهذا الاختلاف بينهما مردّه إلى ما تقدّم كلّ آية، حيث إنّ الأولى جاء قبلها قوله تعالى: (وَلا

---

(1) ينظر: الكرماني: البرهان، ص121.

يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) (التوبة: من الآية54)، فالفعل فيه بلفظ المستقبل المتضمّن لمعنى الشرط أي: إن يكن منهم ذلك فجزاؤهم هو: (فلا تعجبك أموالهم) بالفاء المتضمّنة لمعنى الجزاء [1]، بينما الآية الثانية تقدّمها قوله تعالى: (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقون) (التوبة : من الآية84)، وهو« بلفظ الماضي وبمعناه، والماضي لا يتضمّن معنى الشرط، ولا يقع من الميّت فعل، فكان الواو أحسن »[2].

فالسّياق الذي تقدّم كل آية وما تضمّنه من معنى هو الذي اقتضى استعمال الفاء في الموضع الأول والواو في الموضع الثاني.

ومن الأمثلة كذلك:

قوله تعالى: (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**) (الأنعام:21) .

وقوله تعالى: (**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ**)(يونس:17) .

ويعلّل الكرماني هذا الاختلاف بينهما بما ذكره من أنّ آية الأنعام تقدّمتها آية عطف بعضها على بعض بالواو، أما آية يونس فتقدّمتها آية عطف بعضها على بعض بالفاء [3]. فقد قال في الأنعام: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) (الأنعام: من الآية19)، إلى قوله: (وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) (الأنعام: من الآية19)، وقال في يونس: (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (يونس:16) .

أمّا ابن جماعة فيرى: « أنّ آية الأنعام ليس ما قبلها سببًا لما بعدها فجاءت بالواو المؤذنة بالاستئناف، وآية يونس ما قبلها سببٌ لما بعدها فجاءت بالفاء المؤذنة بالسّببية، فبرّأته من إشراكهم، ومعرفتهم ليس سببًا في أظلميتهم، ولُبثه فيهم عمرًا من قبله وعلمهم بحاله سببٌ لكونهم أظلم، كأنّه قيل: إذا صحّ عندكم أنّه صدق فمن أظلم ممن افترى »[4]، فهذا الكلام وإن اختلف ظاهره عمّا قاله الكرماني، فإنّه لا يختلف من حيث اعتماد السّياق في التعليل.

ومن ذلك أيضا:

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق ، ص88 . وينظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللّفظ من آي التنزيل، تحقيق: سعيد الفلاح، ط1، (دار الغرب الإسلامي، بيروت -لبنان- 1403 هـ - 1983 م)، ج1، ص 594 . وينظر: بدر الدين بن جماعة : كشف المعاني في متشابه المثاني ، تحقيق: محمد محمد داود، ط1، (دار المنار . مصر 1418هـ - 1998 م)، ص 115.

(2) الكرماني: المصدر نفسه ، ص 88 . وينظر: ابن جماعة: المصدر نفسه، ص 115.

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص61.

(4) ابن جماعة: كشف المعاني، ص 94.

قوله تعالى:(وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) (الأعراف:82) .

وقوله تعالى: (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) (النمل:56) .

ويرجع هذا التفاوت في استعمال الحرفين هنا إلى أنّ الواو في سورة الأعراف وقع قبلها اسم، فلم يصلح العطف فيها إلّا به، أمّا الفاء التي أفادت معنى التّعقيب في سورة النمل فقد سبقها فعل، والتعقيب يكون مع الأفعال دون الأسماء [1]. فما قبل الواو هو قوله تعالى: (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) (الأعراف: من الآية81)، وما قبل الفاء هو قوله تعالى: (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (النمل: من الآية55).

وقد تكون القرائن التي تؤثّر في بنية التراكيب المتشابهة قبليّة وبعديّة في آن واحد، كما في:

قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) (الروم: من الآية9).

وقوله تعالى:(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) (فاطر: من الآية44) .

وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُم) (غافر: من الآية21).

فالاستفهام الوارد في الآيات السّابقة كان بالهمزة التي تليها الواو، بينما الاستفهام في قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً) (غافر: من الآية82)، ورد بالهمزة التي تليها الفاء . ويعلّل الكرماني ذلك بأنّ أغلب هذه الآيات قد وافق ما فيها ما جاء قبله وبعده [2].

فآية الروم تقدّمها: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا) (الروم: من الآية8)، وتلاها: (وَأَثَارُوا الْأَرْضَ) (الروم: من الآية9)، وآية فاطر تقدّمها: (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر: من الآية43)، وتلاها: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ) (فاطر: من الآية44)، وآية غافر الأولى تقدّمها: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) (غافر: من الآية20)، أمّا آية غافر الثانية فتقدّمها: (فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ) (غافر: من الآية81)، وتلاها: (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (غافر: من الآية82).

---

(1) ينظر: الكرماني: البرهان، ص79.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 150،151 .

ومن مظاهر الاختلاف في استعمال الحروف، أن يرد التركيب مرّة بحرف العطف (ثمّ)، ومرّات أخرى بحرف الفاء كما في:

قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (الأنعام:11).

وقوله تعالى: (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (آل عمران: من الآية137).

وقوله تعالى: (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل: من الآية36).

وقوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) (النمل:69).

وقوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) (الروم:42).

فقد خُصّت سورة الأنعام بالعطف بـــ(ثمّ) التي تفيد الترتيب والتّراخي، وأمّا باقي السور فكان العطف فيها بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب، وسبب التّخصيص في هذه السورة أنّه تقدّم فيها ذكر القرون في بدايتها[1] في قوله تعالى: (كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) (الأنعام: من الآية6)، ثمّ قال: (وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ) (الأنعام: من الآية6)، أي أنّ السّير والنّظر في هذه السورة كلٌّ مأمورٌ به على حدة، فكان استعمال (ثمّ) هنا أولى، أما سائر السّور الأخرى فلم يتقدّم مثله فيها فحسُن العطف بالفاء[2].

ويعلّق ابن الزبير الثقفي على ذلك الاختلاف بقوله: «... وأمّا آية الأنعام فإنّها افتُتحت بذكر خلق السماوات والأرض، وجعل الظّلُمات والنّور، وإنّما ذُكر هذا من الخلق الأكبر ليُعتبر بذلك، فإنّه أعظم معتبَر وأوسعه ... فكأنّ الآية في قوّة أن لو قيل: سيروا في الأرض فاعتبروا لخالقها، وكيف دَحاها لكم وذلّلها لسكناكم، وجعل فيها رواسي ... إلى ما لا يُحصى من منافعها وعجائبها لمن مُنح الاعتبار ... ثمّ انظروا عاقبة من كَذّب ونُبّه فلم يعتبر، فعطف هذا بـــ (ثمّ) المقتضية مُهلة الزّمان »[3]. وفي هذا الكلام إشارة إلى ما تقدّم من أنّ السّير والنّظر كلٌّ مأمور به على حدة.

إذن- وكما نلاحظ – فإن سياق الآيات والتراكيب يحمل من القرائن ما يستدعي استعمال هذا الحرف أو ذاك.

ومن ذلك أيضا أن يختلف التركيبان المتشابهان في استعمال حروف الجر كما في:

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق ، ص 60 .

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص60 . وينظر ابن جماعة: كشف المعاني، ص 93.

(3) ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج1، ص 423، 424.

قوله تعالى: (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى) (الرعد: من الآية2).

وقوله تعالى: (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) (لقمان: من الآية29).

فالأول دخل فيه حرف اللّام، بينما كان في الثاني حرف الجر (إلى)، والقياس في سورة لقمان أن يكون: لأجل مسمّى، لكنّه لمّا تقدّم فيها ما يوافقه التركيب، ناسب ذلك دخول(إلى) فيه [1]، حيث قال تعالى: (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) (لقمان: من الآية22).

أمّا ابن جماعة فيرى أن دخول (إلى) في آية لقمان إنّما حصل ليوافق ما قبله وما بعده، فلمّا « تقدم هنا ذكر البعث والنّشور بقوله تعالى: (مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ) (لقمان: من الآية28)، وبعدها: (وَاخْشَوْا يَوْمًا) (لقمان: من الآية33)، ناسب مجيء (إلى) الدّالة على انتهاء الغاية، لأنّ القيامة غاية جريان ذلك »[2].

وقريب من هذا:

قوله تعالى: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا) (العنكبوت: من الآية8).

وقوله تعالى: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا) (لقمان: من الآية15).

فالمصدر المؤوّل(أن وما دخلت عليه) في الآية الأولى وقع اسما مجرورا بحرف اللّام، بينما وقع في الآية الثانية مجرورا بحرف الجر (على)، وهذا الاختلاف بينهما إنّما يعين على إدراك سرّه ما ورد في السياق من القرائن، فما في سورة العنكبوت وافق ما كان قبله لفظا [3]وهو قوله تعالى: (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) (العنكبوت: من الآية6)، حيث إنّ الاسم الواقع بعد الفعل(يجاهد) هنا مجرور باللّام وهو ما اقتضى استعماله – أي اللّام – في الآية بعدها، وليس في سورة لقمان مثل ذلك.

والذي يبدو لنا من الأمثلة السابقة، أنّ قرائن السياق اللّغوي التي تتحكّم في اختلاف بنية المتشابهات من حيث استعمال الأداة هي على صور مختلفة، فقد تكون في آيات تقدّمت التركيب أو تأخّرت عنه وتضمّنت معنى من المعاني أو لفظا من الألفاظ استدعى إيراد هذا الحرف دون الآخر، وقد تكون الآية ذاتها هي السّرّ وراء ذلك، أو يكون ما ورد في السّورة ككل هو القرينة.

أمّا قرائن السياق المقامي أو سياق الحال، فأكثر ما جاء منها يتعلق بالمخاطَب، وأمثلته كثيرة منها:

---

(1) ينظر : الكرماني: البرهان، ص103،104 .

(2) ابن جماعة: كشف المعاني، ص 166.

(3) ينظر: الكرماني: البرهان، ص148.

قوله تعالى: (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) (التوبة: من الآية94) .

وقوله تعالى: (فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) (التوبة: من الآية 105) .

وسبب هذا الاختلاف بينهما - فيما يذكره الكرماني- أنّ الآية الأولى تتضمّن وعيدا لأنّها تتحدّث عن المنافقين، وقوله: (ثمّ) التي تفيد التّراخي معناه: أنّ هذا الوعيد لن ينالهم عقابه في الدّنيا وإنما سيتأخّر، أما الآية التي بعدها فإنّها حديث عن طائفة من المؤمنين وقوله: (ستردّون) يتضمّن وعدًا، وهذا من شأنه أن يكون جزاؤه قريبًا في الدّنيا والآخرة لذلك أتى بالواو[1].

ومنه أيضا:

قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا) (الكهف: من الآية57).

وقوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) (السجدة: من الآية22).

فقد أورد الفعل (أعرض) في الأول بالفاء التي تفيد التعقيب، بينما أورده في الثاني بـــ(ثمّ) التي تفيد التراخي، وهذا الاختلاف يرجع إلى كون المخاطَبين في سورة الكهف غير المخاطَبين في سورة السجدة، حيث إنّ ما في الأولى هو في الأحياء من الكفّار والإعراض كان منهم عقيب التّذكير[2] فحسُن العطف بالفاء، ويمكن الاستدلال على كونها في هؤلاء بما تقدّم قبلُ في الآية وهو: (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ) (الكهف: من الآية56)، أمّا السّورة الثّانية فهي في الأموات منهم بدليل قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) (السجدة: من الآية22)، والمعنى: أنّهم ذُكّروا مرّة بعد أخرى، وزمانًا بعد زمانٍ ثمّ كان الإعراض منهم عن التذكير بالموت[3].

ويرى ابن الزبير الثقفي أن الخطاب في سورة الكهف من أوّلها إلى الآية التي معنا لم يخرج إلى غير العرب، أي أنّ المتكلّم لم يتعرّض فيها إلى إخبارٍ بحال غير العرب إلاّ ما عرفوه من قصّة أهل الكهف وخبرهم، وهو من سؤالات قريش بتنبيه يهود إياهم، أمّا سورة السجدة فإنّ الآية فيها عامّة في حقّ العرب وغيرهم، والإخبار فيها هو عن جميع من شاهد آية بيّنة وكذّب، ودليل

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص91 . وينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج1، ص 598- 600 . وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص 116، 117.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص121 .

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص121 .

هذا ما تقدّمه ممّا هو على إطلاقه في العرب وغيرهم[1] من قوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ) (السجدة:18) . فالمعنيّون من الخطاب يدخلون ضمن دائرة المخاطَب، واختلافهم يؤثّر في بنية التراكيب.

ومن أمثلة اختلاف المخاطَبين أيضا:

قوله تعالى:(**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**) (البقرة: من الآية136).

وقوله تعالى: (**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**) (آل عمران: من الآية84) .

حيث استعمل حرف الجر(إلى) في الآية الأولى واستعمل حرف الجر(على) في الآية الثانية، وذلك لأنّ ما في البقرة هو خطاب للأنبياء وللأمّة، والكتب منتهية إليهم جميعا، بينما الخطاب في آل عمران هو للنبّي- صلى الله عليه وسلم-، فكان الذي يليق به (على) المختصّ بجانب الفوق [2]. ويمكننا أن نميّز اختلاف المخاطَبين من خلال سياق الآيتين، فالأولى بلفظ: (قولوا) والثانية بلفظ: (قل)، وكلاهما خطاب مباشر.

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى: (**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**) (المائدة: من الآية13) .

وقوله تعالى: (**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ**) (المائدة: من الآية41).

ووجه الاختلاف -كما يعلّله الكرماني-: أن « الأولى في أوائل اليهود والثانية فيمن كان في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم-، أي حرّفوها بعد أن وضعها الله مواضعها وعرفوها وعملوا بها زمانا » [3]، بمعنى: أنّ الآية الأولى تتحدّث عن أوائل اليهود الذين حرّفوا التّوراة قبل زمن النبي – صلى الله عليه وسلم-، أما الثانية فتتحدّث عن قوم من اليهود في زمنه حرّفوها بعد أن وضعها الله مواضعها.

(1) ينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج2، ص 783-787.

(2) ينظر: الكرماني: البرهان، ص 35.

(3) [illegible] ص56.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وإذا رجعنا إلى الآيتين وبخاصّة الآية الثانية، نلمس أن قوله فيها: (من بعد) يفيد أنّ التّحريف كان بعد السّماع بمدّة أو بزمن، وفي هذا يقول ابن جماعة: إن «(عن) لما قرب من الأمر، و(بعد) لما بَعُد» [1].وهذا تأكيد لكلام الكرماني السابق .

وما يمكن أن نلاحظه من خلال الأمثلة السابقة عن سياق الحال، أن هناك علاقة وثيقة بينه وبين السياق اللغوي، ذلك أن تضافرهما يزيد في بيان أسرار الاختلاف و توضيحها.

2- الصيغة:

ونعني بها الهيئة التي يكون عليها اللفظ اسمًا كان أم فعلًا، وهي أحد الاختلافات الظّاهرة بين الآيات المتشابهة، فقد يرد اللّفظ في موضع ما بصيغة ويرد في موضع آخر بصيغة مختلفة بحسب ما تقتضيه قرائن السياق. فممّا اختلفت صيغة الفعل فيه ما جاء في:

قوله تعالى: (**فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ**) (الأعراف: من الآية64) .

وقوله تعالى: (**فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ**) (يونس: من الآية73) .

حيث إنّ الفعل الثلاثي(نجا) ورد بصيغة(أنجينا) على وزن أفعلنا في الآية الأولى، بينما جاء في الآية الثانية (نــجّينا) على وزن فعّلنا وكلا هما للتّعدية، وفي هذا يقول الكرماني: «...التّشديد يدلّ على الكثرة والمبالغة، فكان في يونس (ومن معه) ولفظ (من) يقع على كثرة ممّا يقع عليه (الذين)، لأنّ (من) يصلح للواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث، بخلاف (الذين) فإنّه لجمع المذكّر وحسب، فكان التّشديد مع (من) أليق» [2].

أمّا ابن الزبير الثقفي فيرى أنّ كِلَا الفعلين (أنجينا) و (نجّينا) وافق اسم الموصول الذي ورد معه في الآية خطّا ولفظا، فلمّا « طالت الكلمة بالألف خطّا وبالنطق بحركة الهمزة لفظا ناسبها الموصول الذي هو (الذين) بزيادة حروفه على حروف (من)، ولمّا قيل في الثانية (فنجّيناه) بما هو أخصر في الخط ناسبه من الموصولات (من) المفرد في معنى (الذي) وهو أخصر » [3].

فعلى الرّغم من الاختلاف الظّاهر بين الكلامين فإنّ غايتهما واحدة، وهي اعتماد السياق لتعليل الاختلاف بين التركيبين، فكلّ صيغة – إذن- ناسبت ما جاء بعدها في سياق الآية الواحدة وهو القرينة الدّالة على ذلك .

---

(1) ابن جماعة: كشف المعاني، ص 87.

(2) الكرماني: البرهان، ص77.

(3) ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج1، ص 531.

وقد ترجع المناسبة إلى ما ورد في سياق آيات تقدّمت التركيب وأخرى تأخّرت عنه كما في:

قوله تعالى: (وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (النمل:53) .

وقوله تعالى: (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (فصلت:18) .

نجد أنّ اختلاف صيغتي الفعلين هنا يعلّله مجيء الأفعال قبلهما وبعدهما على وزن كلّ منها في سورتيهما [1]، ففي سورة النمل وافقت صيغة (أنجينا) ما بعدها من الصّيغ في قوله تعالى: (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) (النمل: من الآية57)، وقوله: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً) (النمل: من الآية58)، وقوله: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ) (النمل: من الآية60)، فكلّها على وزن أفعلنا، أمّا في سورة فصلت فقد وافقت صيغة (نجّينا) ما قبلها وهو قوله تعالى: (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) (فصلت: من الآية12)، وما بعدها وهو قوله: (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) (فصلت: من الآية25)، وكلاهما على وزن: فعّلنا.

وقريب من هذا:

قوله تعالى: (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ) (البقرة: من الآية38) .

وقوله تعالى: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ) (طـــه: من الآية123) .

فإنّما اختار في سورة طه صيغة (اتّبع) لتقع الموافقة بينها وبين ما ورد في قوله تعالى في الآية قبلها [2]، وهو: (يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ) (طـــه :108)، ولأن القضية – كما يقول أبو يحي زكريا – : « لمّا بُنيت من أوّل الأمر على التّأكيد بقوله تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ) (طـــه: من الآية115)، ناسب اختصاصها بالزّيادة المفيدة للتأكيد » [3].

وكما تختلف صيغ الأفعال في المتشابهات من حيث الوزن الصّرفي فإنّها قد تختلف من حيث بناء هذه الأفعال، فقد تكون في موضع ما مبنيّة للمعلوم وفي موضع آخر مبنيّة للمجهول كالذي جاء في:

قوله تعالى: (وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) (التوبة: من الآية87) .

وقوله تعالى: (وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) (التوبة: من الآية93) .

---

(1) ينظر: الكرماني: البرهان ص 143

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص27.

(3) أبو يحي زكريا: فتح الرحمن ، ص 23 .

فالأول (طُبِع) والثاني (طَبَع)، وهذا الاختلاف يعلّله الكرماني بقوله: إنّ " قوله: (طُبِع) محمول على رأس المائة وهو قوله تعالى: (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ) (التوبة: من الآية86)، والثاني محمول على ما تقدّم من ذكر الله تعالى مرّات، فكان اللاّئق : وطَبَع الله "[1]، وهو من باب التّشاكل والتّناسب في زمن الأفعال.

وقد تختلف الصّيغ في المتشابهات من حيث نوعُ العامل، بمعنى: أن يرد هذا العامل في تركيب منها بصيغة الفعل ويرد في التّركيب المشابه بصيغة الاسم كما في:

قوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) (الأنعام: من الآية95) .

وقوله تعالى: (وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) (آل عمران: من الآية27) .

وقوله تعالى: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) (الروم: من الآية19).

وقوله تعالى: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) (يونس: من الآية31) .

فنلاحظ أنّ جملة (مخرج الميّت من الحيّ) في الآية الأولى، العامل فيها ورد بصيغة اسم فاعل وهو (مُخْرِجْ)، بينما جاء في الآيات الأخرى بصيغة الفعل: (تخرج ويخرج).

ويعلّل الكرماني مجيء العامل في سورة الأنعام بصيغة اسم فاعل بوقوعه بين أسماء الفاعلين في الآية السّابقة على التّركيب والآية المتأخّرة عنه[2] حيث قال تعالى: (فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى) (الأنعام: من الآية95)، وقال: (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) (الأنعام: من الآية96) وهما قرينتان إحداهما سابقة والأخرى لاحقة.

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى في قصة نوح: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ) (الأعراف: من الآية62) .

وقوله تعالى في قصة هود: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) (الأعراف:68) .

فقد اختلفت صيغة العامل فيهما بين الفعل واسم الفاعل في قوله: (أنصح لكم) و(لكم ناصح)، ويمكننا أن نتبيّن سرّ هذا الاختلاف من خلال ما جاء في السّورة، فنجد أنّ الآية الأولى وافقت قوله تعالى في الآية: (لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ) (الأعراف: من الآية79)، حيث عطف هنا لفظ الماضي وهو: (أبلغتكم) على مثله وهو: (نصحت)، كذلك هناك عطف لفظ

---

[1] الكرماني: البرهان ص 91 . وينظر:ابن جماعة كشف المعاني، ص 115.

[2] ينظر الكرماني: المصدر نفسه، ص 64 ، 65 . وينظر ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج1، ص 295 .

المستقبل وهو: (أبلّغكم) على مثله وهو: (أنصح) [1]، أمّا الآية الثانية فقد وردت بصيغة اسم الفاعل (ناصح) لتُقابَل بمثلها [2]وذلك في قوله تعالى قبلها على لسان هود: (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (الأعراف: من الآية66).

والذي نلحظه من خلال الأمثلة السّابقة أنّ اختلاف التراكيب القرآنية المتشابهة من حيث الصيغة لا يمكن أن يعلّل من دون النّظر إلى السّياق الذي وردت فيه، وبملاحظة القرائن المتقدّمة والمتأخّرة .

3- العدد:

نقصد بالعدد هنا الإفراد والتثنية والجمع، فقد يُستعمل اللّفظ مفردًا في موضع ويستعمل في موضع آخر مثنّى أو جمعا، وفي كلّ ذلك يكون السياق هو المؤثر، ومن أمثلته ما جاء في:

قوله تعالى في قصة صالح-عليه السلام -: (**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ**) (الأعراف: من الآية79) .

وقوله تعالى في قصة شعيب-عليه السلام- : (**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ**) (الأعراف: من الآية93).

فقد أفرد الله تعالى لفظ(الرسالة) مع صالح وجمعها مع شعيب فقال:(رسالات)، ويرى الكرماني أنّ تخصيص الآية الأولى باللّفظ المفرد، قرينته تقدّم ذكر النّاقة في السورة، فصارت كأنّها رسالة واحدة [3]وذلك في قوله تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً) (الأعراف: من الآية73)، أي: رسالة من ربّكم، وهذه القرينة التي تقدّمت الآية هي ما اقتضى إفراد لفظ الرسالة، أمّا جمعه في الآية الثانية، فقرينتُه هي كثرة ما ذكره شعيب- عليه السلام- لقومه من الأوامر والنّواهي وتبليغها لهم، فصارت هذه كأنّها رسالات [4]، ويعرف ذلك من قوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) (الشعراء:179) إلى قوله: (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ) (الشعراء:184). وهذه القرينة اقتضت جمع اللفظ، فاختلاف هاتين القرينتين هو الذي أدّى إلى اختلاف السياقين.

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص 76.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص76 .

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ،ص 76 . وينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج1،ص 538 .

(4) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه،ص 76.وينظر: ابن الزبير: المصدر نفسه ،ج1، ص537 ، 538 . وينظر: أبو يحي زكريا:فتح الرحمن: ص 198.

ومن لطيف استعمال المفرد والجمع:

قوله تعالى: (**لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**) (المؤمنون: من الآية19).

وقوله تعالى: (**لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ**) (الزخرف:73) .

فورود لفظ(فواكه) بالجمع في آية المؤمنون ولفظ (فاكهة) بالإفراد في آية الزخرف، إنّما وقع مراعاة للفظ (الجنّة) في السورتين[1] حيث استعمل مجموعا في قوله تعالى: (**فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ**) (المؤمنون: من الآية19)، فكان ما في هذه الآية هو القرينة الدّالة على سبب الجمع فيها، بينما جاء هذا اللّفظ مفردًا في قوله تعالى: (**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) (الزخرف:72)، وهكذا أفرد لفظ الفاكهة حين أفرد الجنة وجمعه مع لفظ الجنات، وهو من باب التّناسب العددي.

ومن الألفاظ التي استعملت بالإفراد تارة وبالجمع تارة أخرى لفظ (الدّار):

في قوله تعالى: (**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**) (الأعراف:78) .

وقوله تعالى: (**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**) (هود:67) .

وقوله تعالى: (**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**) (هود: من الآية94) .

فنلاحظ توحيد لفظ الدار في سورة الأعراف وجمعه في سورة هود، وبالنّظر في سياق كل آية نجد أنه حيث ذكر الصّيحة جمع الدار، وحيث ذكر الرّجفة وحّدها، وذلك أنّ الصّيحة من السماء وهي تبلغ أكثر ممّا تبلغه الرّجفة وهي الزّلزلة التي تختصّ بجزء من الأرض، أمّا تلك، فإنّ صوتها يبلغ مساحة أكبر فلذلك وحّد مع الرّجفة وجمع مع الصّيحة[2].

ويرى ابن الزبير الثقفي أنّ للفظ (الرّجفة) خصوص و" الصّيحة من حيث الكلّيّة تُطلق على ما كان من العذاب بالرّجفة وغيرها، وإذا عبّرنا بالرّجفة لم يتناول لفظُها إلاّ ما كان عذابا بها، فناسب عموم الصّيحة جمع الدّار "[3]. فالتّناسب -إذن- قد أملاه السّياق اللّغوي في كلّ آية.

ولا يقتصر الأمر في استعمال العدد على القرائن المقالية، فالقرائن الحالية قد يكون لها أثر في ذلك أيضا، ويمكن أن نتبيّن هذا من خلال بعض الأمثلة:

في قوله تعالى: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا) (هود: من الآية14).

وقوله تعالى: (**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ**) (القصص: من الآية50) .

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص 134.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص77.

(3) ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج1، ص534.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جمع الخطاب في الآية الأولى ووحّد في الآية الثانية، ويرجع هذا الاختلاف بين الخطابين إلى اختلاف المخاطَبين في كلّ سورة، فما في سورة هود هو خطاب للكفار والفعل(يستجيبوا) فيها يعود إلى (مَنْ) في الآية السابقة [1]: (وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) (هود: من الآية13)، والمعنى : فإن لم يستجب لكم من دعوتم ، أمّا سورة القصص فالخطاب فيها للنّبي- صلى الله عليه وسلم -، والفعل (يستجيبوا) للكفار[2]، والمعنى: إنْ لم يستجب لك الكفار. فنلاحظ هنا كيف أن سياق الحال ممثّلاً في المخاطَب مختلفٌ في الآيتين ممّا أثّر في اختلاف بنيتيهما.

وقد تكون قرينة اختلاف المتشابهات من حيث الإفراد والتثنية والجمع سببًا من أسباب النزول، كما في:

قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) (الأنعام: من الآية25) .

وقوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) (يونس: من الآية42) .

حيث إنّ التركيب الأوّل بلفظ (يستمع) والثاني بلفظ(يستمعون)، وسبب هذا الاختلاف أنّ ما في سورة الأنعام " نزل في أبي سفيان، والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة و أميّة وأبيّ بن خلف، فلم يكثروا كثرة ما في يونس لأنّ المراد بهم في يونس جميع الكفار " [3]. فكان هذان، قرينتي استعمال اللّفظ (يستمع) في الآية الأولى، واستعمال اللفظ(يستمعون) في الآية الثانية .

وقريب من هذا:

قوله تعالى: (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (الحج:10) .

وقوله تعالى: (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (آل عمران:182) .

فقد قال في آية الحج: (يداك) بالتثنية وفي آية آل عمران (أيديكم) بالجمع، ويرجع ذلك إلى اختلاف سبب نزول كلّ منهما، فالأولى نزلت في النضر بن الحارث، وقيل: في أبي جهل فوحّده. أمّا الثانية فنزلت في الجماعة الذين تقدّم ذكرهم من قبل في السورة وهم اليهود [4].

ومما تقدم نخلص إلى: أنّ قرائن السياق- المقالية والحالية- تساهم بقدر كبير في تجلية أسباب الاختلاف بين التّراكيب المتشابهة، و بها يتسنّى معرفة سرّ استعمال لفظ مفرد في موضع ما، وجمعه أو تثنيته في موضع آخر مشابه.

---

(1) ينظر: الكرماني: البرهان، ص 96 .

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 96 .

(3) الكرماني: المصدر نفسه، ص 61 . وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص 94 .

(4) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 132.

4- التعيين:

يراد بالتّعيين تعريف الأسماء وتنكيرها، وهو في الآيات المتشابهة، أن يرد اللفظ معرّفا في آية منها ومنكّرا في آية أخرى، ومن أمثلته:

قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) (الصف: من الآية7).

وقوله تعالى:(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً) (الأنعام: من الآية93).

فعرّف اللّفظ في الآية الأولى (الكذب) ونكّره في الآية الثانية، ويرجع تخصيص سورة الصّف بالتعريف لما فيها من إشارة إلى ما تقدّم من قول اليهود والنّصارى [1]، وهو: جعْلُهم البيّنات سحرًا، أي إلى ما تقدّم في سياق الآية حيث قال تعالى عنهم: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) (الصف: من الآية6) ، فقولهم: (هذا سحر مبين) هو كذب منهم، ولمّا تقدّم ما دلّ عليه صار هذا (الكذب) معلومًا ولهذا عرّف في الآية.

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى:(فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (المؤمنون: من الآية41) .

وقوله تعالى: (فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ) (المؤمنون: من الآية44) .

فكلمة (القوم) وردت معرّفة في الأوّل بينما جاءت منكّرة في الثاني، وذلك لأنّ الآية الأولى في قوم معنيّين وهم قوم صالح -عليه السلام-[2]، والقرينة قوله تعالى في الآية ذاتها: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ) (المؤمنون: من الآية41)، وكأنّ المعنى: وأخذت الذين ظلموا الصيحة، فكانت كلمة (القوم) في مقابلة (الذين ظلموا)، أي الضمير(هم) في (أخذتهم) ولهذا خُصّت الآية بالتعريف، أمّا الآية الثانية فلم تكن في قوم معنيّين [3]وقرينة ذلك ما جاء في الآية التي تقدّمتها وهو قوله تعالى: (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ) (المؤمنون:42)، والمعنى: قومًا آخرين ولهذا خُصّت بالتّنكير.

ويقول ابن جماعة معلّلا ذلك الاختلاف: « إنّ القرن الأوّل معروف أنّهم قوم هود لقوله تعالى: (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ) (المؤمنون:31)، وأوّل قرن بعد نوح قوم هود وقوله تعالى: (قُرُوناً آخَرِينَ) (المؤمنون: من الآية42) غير معروفين بأعيانهم فجاء بلفظ التّنكير بقوله تعالى: (لقوم لا يؤمنون) »[4].

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص184 . وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص 194 ،195 .

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص135.

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 135.

(4) ابن جماعة: كشف المعاني، ص 159 ، 160 .

ومن هذا القبيل:

قوله تعالى: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا) (يونس: من الآية12) .

وقوله تعالى: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ) (الزمر: من الآية8) .

ويرجع هذا الاختلاف بينهما إلى أنّ كلمة (الضرّ) في الآية الأولى تقدّمها ما يدلّ عليها وهو لفظ(الشر)[1] الوارد في الآية: (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ) (يونس: من الآية11)، والضرّ متضمّن لمعنى الشرّ، فكانت المناسبة بينهما مناسبة معنوية عرّف من أجلها لفظ (الضرّ).

وممّا سبق نرى أنّ استعمال اللّفظ معرّفا في موضع ما يأتي لأمر معلوم مخصّص، أمّا استعماله منكّرا في موضع آخر شبيه به فيأتي لما هو عام، وإنّما يكون السّياق في كلّ ذلك هو المعتمد في التّعليل.

وقد تكون القرينة في سورة أخرى غير السّورة التي تضمّنت التّراكيب المتشابهة كما في:

قوله تعالى: (وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) (البقرة: من الآية61) .

وقوله تعالى: (وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ) (آل عمران: من الآية21) .

حيث عرّف (الحق) في سورة البقرة، بينما نكّره في سورة آل عمران، وذلك أنّ كلمة (الحق) تعني في الآية الأولى أنّهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق الذي يدعو إلى القتل وهو « الحق الذي أذن الله أن تُقتل النّفس به »[2] في قوله تعالى: (وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) (الأنعام: من الآية151)، وفي هذا دليل من الأدلّة على ترابط النّصّ القرآني واتّساقه، وأنه سياق متكامل يفسّر بعضه بعضا.

وهكذا رأينا أنّ قرائن السياق لها وظيفة بارزة في بيان سبب الاختلاف بين المتشابهات من حيث تعريف الألفاظ فيها وتنكيرها، وهذه القرائن قد تكون في داخل السورة الواحدة أو خارجها.

ومن مظاهر الاختلاف بين التراكيب المتشابهة أن يعرّف اللّفظ في تركيب منها بـــ(أل) ويعرّف في تركيب آخر بالإضافة وذلك نحو:

قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) (الزمر:11) .

وقوله تعالى: (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي) (الزمر:14) .

حيث وردت كلمة (الدّين) معرّفة بـــ (أل) في الآية الأولى، ووردت في الآية التي بعدها معرّفة بالإضافة، وبالنّظر إلى سياق كلّ آية يعلّل الكرماني الاختلاف بقوله: إنّ « قوله: (أعبد) إخبار

---

(1) ينظر:الكرماني: البرهان،ص 92.

(2) الكرماني : المصدر نفسه، ص 30 .

صدر عن المتكلم فاقتضى الإضافة إلى المتكلم، وقوله: (أمرت أن أعبد الله) ليس بإخبار عن المتكلم وإنّما الإخبار وما بعده فضله ومفعول »[1]، فناسبت كلّ كلمة موضعها الذي وضعت فيه.

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى: (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) ختمه بقوله:

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (النور: من الآية59).

وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم) ختمه بقوله:

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (النور: من الآية58).

وقوله تعالى: (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج) ختمه بقوله:

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (النور: من الآية61) .

فقد عرّف لفظ(الآيات) في الآية الأولى بالإضافة بينما عرّف في الثانية والثالثة بالألف واللام، ويعلّل الكرماني هذا الاختلاف بينها بما ورد في كلّ آية، فيرى أنّ الآيتين الثانية والثالثة تضمّنتا علامات يمكن للمرء الوقوف عليها[2]، وهي في الآية الثانية: (ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ) (النور: من الآية58)، وفي الآية الثالثة هي: (مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ) (النور: من الآية61)؛ فهذه وتلك كلّها آيات أو علامات يمكن الوقوف عليها وهو ما اقتضى تعريف لفظ(الآيات) بالألف واللام، أمّا الآية الأولى فلم يرد فيها ذكر علامات لبلوغ الأطفال يمكن الوقوف عليها، بل إنّ الله سبحانه تفرّد بعلم ذلك لذلك خصّها بإضافة لفظ(الآيات) إلى نفسه[3]، فسياق كل آية هو الذي اقتضى استعمال التعريف بـــ(أل) أو التعريف بالإضافة.

ومن أمثلة تعليل الاختلاف اعتمادا على السياق أيضا:

قوله تعالى: (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ) (يوسف: من الآية109) .

وقوله تعالى: (وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (الأعراف: من الآية169) .

فلفظ (الدّار) معرّف بالإضافة في سورة يوسف بينما هو معرّف بالألف واللاّم في سورة الأعراف. وسرّ هذا الاختلاف في تعريف اللّفظ أنّ الآية الأولى تقدّمها ذكر لفظ السّاعة في السورة[4] وذلك

---

(1) الكرماني: المصدر السابق، ص 166 ،167 .

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص، 138 . وينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج2، ص887.

(3) ينظر : الكرماني: المصدر نفسه، ص، 138 . وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص، 153.

(4) ينظر:الكرماني: المصدر نفسه، ص 103. وينظر: ابن جماعة: المصدر نفسه، ص، 125 .

في قوله تعالى: (أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) (يوسف: من الآية107)، فكان تقدير الكلام هو: ولدار السّاعة الآخرة، أي أنّ لفظ (الآخرة) وقع صفة لموصوف محذوف هو (الساعة)، أمّا الآية الثانية فقد تقدّمها ما أدّى إلى تعريف لفظ (الدّار) بالألف واللّام وذلك في قوله تعالى: (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) (الأعراف: من الآية169)، فقابل قوله: (الدّار الآخرة) قوله:(هذا الأدنى)، أي: الحياة الدنيا [1].

ومن ذلك أيضا أن يكون سياق السّورة كلّها هو الدّاعي إلى الاختلاف كما في:

قوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) (الحجر:35) .

وقوله تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) (ص:78) .

فيذكر الكرماني أنّ تعريف اللّفظ بـــ (أل) في السّورة الأولى إنّما وقع، لأنّ الكلام فيها جرى على الجنس من أوّل القصّة، بمعنى: أنّ الألفاظ الواردة في السّورة معرّفة بـــ (أل) الجنسية التي تفيد الاستغراق [2]، من ذلك: لفظ الإنسان، ولفظ الجان، ولفظ الملائكة،...أمّا السّورة الثانية فقد تقدّم فيها ما يوافق التّعريف بالإضافة [3]في قوله تعالى: (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص:من الآية75)، فناسب قوله: (بيدي) قوله: (لعنتي).

من خلال ما سبق نقول: إنّ السّياق اللّغوي مرجع أساس في تعليل الاختلاف بين المتشابهات من حيث التّعريف والتّنكير، ومن حيث طريقة التّعريف.

5- النوع:

المقصود به تذكير الأسماء وتأنيثها على وجه العموم، وهو في التّراكيب المتشابهة ما وقع على الفعل والاسم والضمير بحسب السّياق .

فمن أمثلة المتشابهات التي اختلف الفعل فيها تذكيرا وتأنيثا:

قوله تعالى: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) (هود:67) .

وقوله تعالى: (وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) (هود: من الآية94) .

فالأوّل لم ترد فيه تاء التّأنيث بينما وردت في الثّاني، والتّذكير أخفّ على اللّسان في النّطق، غير أنّ تأنيث الفعل في الآية الثّانية إنّما حصل ليوافق ما بعدها [4]وهو قوله تعالى: (كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)

---

(1) ينظر: الكرماني:المصدر السابق، ص103. وينظر: ابن جماعة: المصدر السابق،ص، 125.

(2) ينظر: الكرماني:المصدر نفسه، ص108.

(3) ينظر: الكرماني:المصدر نفسه، ص108. وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص، 128.

(4) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص، 99 . وينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل: ج2، ص660،661.

(هود: من الآية95)، أي أنّ هناك نوعا من التّجانس والتّشاكل بين (أخذت) و(بعدت)، وهو القرينة الدّالة على سبب الاختلاف.

ومن ذلك:

قوله تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الممتحنة: من الآية4) .

وقوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الممتحنة: من الآية6) .

وقرينة التّذكير سببها كثرة الحائل بين الفعل النّاسخ واسمه في الآية [1] وهو قوله: (لكم فيهم)، أي أنّ سياق الآية ذاتها هو الذي اقتضى وجود هذا الاختلاف.

ومن المواضع التي اختلف الاسم فيها تذكيرا وتأنيثا:

قوله تعالى: (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) (الأنعام: من الآية90) .

وقوله تعالى: (وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (يوسف:104) .

فالأول ورد بتأنيث لفظ(ذكرى) في حين أن الثاني ورد بالتذكير (ذكر)، ويعلّل الكرماني سبب التأنيث في سورة الأنعام بأنّها تقدّم فيها هذا اللّفظ مؤنّثا [2] في قوله تعالى: (فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى) (الأنعام: من الآية68)، وقوله: (وَلَكِنْ ذِكْرَى) (الأنعام: من الآية69)، لذلك كان لفظ (الذكرى) الأليق في الآية والتّجانس واضح.

ومن ذلك أيضا، تذكير الاسم الموصول وتأنيثه كما في:

قوله تعالى: (وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) (السجدة: من الآية20) .

وقوله تعالى: (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) (سبأ: من الآية42) .

فنلاحظ أنّ الاسم الموصول الواقع بعد لفظ (النّار) في الآيتين جاء في الأولى مذكّرا وفي الثّانية مؤنّثا، ويرجع هذا الاختلاف بينهما إلى أنّ كلمة (النّار) في سورة السجدة " وقعت موقع الكناية لتقدّم ذكرها، والكنايات لا توصف فَوُصف العذاب " [3]، حيث تقدّم ذكرها في سياق الآية ذاتها: (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا) (السجدة: من الآية20)، أمّا سورة سبأ فلم يتقدّم فيها ذكر النّار لذلك حسُن وصفها هي لا وصف العذاب [4].

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص184.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص64.

(3) الكرماني: المصدر نفسه، ص155.

(4) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص155.

ومما سبق نلاحظ أن تعليل الاختلاف بين المتشابهات من جهة يكفي لمعرفة سببه، وإنّما العبرة بكون السّياق يساهم في ذلك بوضوح.

ومن الأمثلة التي اختلفت تذكيرا وتأنيثا في الضّمير ما جاء في:

قوله تعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ) (النحل:66) .

وقوله تعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) (المؤمنـــون:21) .

حيث قال في الآية الأولى: (مما في بطونه) وقال في الآية الثانية: (مما في بطونها)، ويرى الكرماني أنّ هذا الاختلاف بينهما في تذكير الضّمير وتأنيثه سببه اختلاف عائد هذا الضّمير في كلّ منهما، فالمراد في آية النّحل بعض الأنعام وهو الإناث، والضمير يرجع إلى هذا (البعض) المقدّر الذي يُفهم من سياق الآية حين خصّصها بذكر اللّبن الذي لا يكون للذّكور، فصار تقدير الكلام: وإنّ لكم في بعض الأنعام[1]، أمّا آية المؤمنون فهي على خلاف ذلك إذ الضّمير فيها يعود إلى الأنعام جميعا ولا يقتصر على بعضها، وقرينته ما ورد في الآية ذاتها والآية التي تليها حيث قال تعالى: (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ() وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ) (المؤمنون:21 ،22)، فإنّه عطف على قوله: (مما في بطونها) ما يعود على كل الأنعام، إناثا وذكورا [2].

وقريب من هذا :

قوله تعالى: (فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا) (فاطر: من الآية27) .

وقوله تعالى: (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) (فاطر: من الآية27) .

وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) (فاطر: من الآية28) .

فنلاحظ أن الموضع الثّالث اختصّ بتذكير الضّمير في (ألوانه)، بينما هو في الموضعين الآخرَين مؤنّث، وكما يتجلّى لنا من سياق كلّ منها فإنّ الضّمير في الأوّل يعود إلى (ثمرات)، وفي الثّاني يعود إلى (الجبال) أو إلى ما بعدها لأنّها كلّها أسماء مؤنّثة، أمّا الموضع المختصّ بالتّذكير، فإنّ المتبادر إلى الذّهن أن يكون الكلام فيه هو: مختلف ألوانُها بِعَودِ الضّمير إلى (الأنعام)، غير أنّ سياق الآية وحده هو الكفيل ببيان سرّ ذلك، فبمقارنة قوله تعالى: (ومن الجبال جدد بيض وحمر) وقوله: (ومن النّاس والدّواب والأنعام)، نجد أنّ الأوّل تضمّن تفسيرا وتفصيلا لقوله (من) وهو: (جدد

---

(1) ينظر : الكرماني: المصدر السابق ، ص114.

(2) ينظر الكرماني: المصدر نفسه، ص 114 .

بيض وحمر)، بينما الثّاني لم يكن كذلك، أي أنّه لم يفسّر (من) التي ذكرها فكان الضّمير في هذا الموضع يعود إلى بعض الدّال عليه [1]، لذلك خُصّ بالتّذكير.

ومن خلال ما سبق، نلاحظ أنّ القرائن المعلّلة لاختلاف التّراكيب المتشابهة من حيث النّوع، الغالبُ فيها أن ترد في الآيات ذاتها الّتي تضمّنت هذه التّراكيب، بمعنى: أنّ بينة التّركيب توافق ما جاء في الآية التي تحتويه، إمّا عن طريق المماثلة و المشاكلة اللّفظية، وإمّا عن طريق المناسبة المعنويّة.

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص 159.

المبحث الثاني:

المتغيرات المعجمية:

المتغيرات المعجمية: هي عناصر المعجم (الأفعال والأسماء) التي ترد في التّراكيب القرآنية المتشابهة، بصورة مختلفة من حيث المادة اللغوية مع تقارب دلالي فيما بينها في الغالب، كإبدال فعل بفعل، أو إبدال اسم باسم، أو إبدال اسم بضمير.

1- إبدال فعل بفعل:

من الظّواهر التي تعتمد على السّياق أن يرد التّركيب في موضع ما بفعل، ويرد في موضع آخر شبيه به بفعل قريب منه دلاليا أو مختلف عنه تماما، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) (البقرة: من الآية60) .

وقوله تعالى: (اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) (الأعراف: من الآية160) .

فقد يظهر لنا للوهلة، أنّ الانبجاس مرادف للانفجار، لكنّ الأصل فيهما غير ذلك، وهذا لا يعني أنّ هناك تناقضًا بين التركيبين، وإنما السّرّ في الاختلاف بينهما يتّضح من الاطّلاع على سياق الآيتين في كلتا السورتين، فالتّركيب في سورة البقرة تلاه قوله تعالى: (كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ) (البقرة: من الآية60)، والتّركيب في سورة آل عمران تلاه قوله تعالى: (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) (الأعراف:من الآية160)، ويرى الكرماني أنّه لمّا جُمع بين الأكل والشّرب في السّياق الأوّل ناسب ذلك ذكر الانفجار من بعد وهو الأبلغ، ومعناه: انصباب الماء بكثرة، ولم يكن كذلك في السّياق الثاني حيث اقتصر على لفظ الأكل، وهذا ناسبه ذكر الانبجاس ومعناه: ظهور الماء [1]، فالفرق بين السّياقين واضح وكلّ تعبير في الآيتين إنّما جاء لقرينة لاحقة في كلّ منهما.

أمّا ابن الزبير الثقفي فيقول في ذلك: « إنّ الفعلين وإن اجتمعا في المعنى فليسا على حدّ سواء، بل الانبجاس ابتداء الانفجار والانفجار بعدهُ غاية له... وإذا تقرّر هذا فأقول: إنّ الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسى – عليه السلام- السّقيا، قال تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ) (الأعراف: من الآية160)، والوارد في البقرة طلب موسى - عليه السلام- من ربّه، قال تعالى:(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ) (البقرة: من الآية60)، فطلبهم ابتداء فناسبه الابتداء،

---

(1) ينظر: الكرماني:المصدر السابق، ص 30.

واستسقاء موسى – عليه السلام – غاية لطلبهم لأنّه واقع بعده ومترتب عليه... فقيل جواب لطلبهم: (فانبجست)، وقيل إجابة لطلبه: (فانفجرت) "[1]، فكلّ لفظ ناسب سياقه ولا تناقض بينهما.

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا) (البقرة: من الآية187).

وقوله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا) (البقرة: من الآية229).

حيث اختلف فعلا النّهي في التّركيبين؛ بأن قال في الأول: (فلا تقربوها) وقال في الثاني: (فلا تعتدوها) وهما فعلان يختلفان في المعنى، وهذا الذي سبق قد اقتضاه السّياق في كلّ آية، فالأولى تقدّم فيها قوله تعالى: (وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) (البقرة: من الآية187)، بينما الثانية تقدّم فيها قوله: (الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) (البقرة: من الآية229) .

فلما كان الحدّ الأوّل نهيًا وهو عدم المباشرة أُمر بترك مقاربته والابتعاد عنه، ولمّا كان الحدّ الثّاني أمرًا وهو بيان عدد الطّلاق أُمر بترك مجاوزته أو الاعتداء عليه[2].

ومن أمثلة المتشابهات التي تعتمد في التعليل على قرائن في آيات متقدّمة عليها أو متأخّرة عنها:

قوله تعالى: (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ) (طــه: من الآية40) .

وقوله تعالى: (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ) (القصص: من الآية13) .

فمن بين ما اختلف فيه هذان التركيبان ورود الأوّل بلفظ الرّجع (رجعناك)، وورود الثّاني بلفظ الرّد (رددنا) وهما فعلان يتقاربان في المعنى غير أنّ الرّجع إلى الشّيء ألطف من الرّد إليه، وقد خُصّت آية القصص بالردّ تصديقًا لما وقع قبلها في بداية السّورة [3] وذلك في قوله تعالى: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ) (القصص: من الآية7)، فهذه القرينة وردت في آية سابقة تقدّمت التّركيب.

كذلك الأمر بالنسبة إلى:

قوله تعالى: (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) (الحج: من الآية45) .

وقوله تعالى: (وَكَأَيِّنْ مَنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) (الحج: من الآية48) .

فقد خُصّت الآية الأولى بذكر الإهلاك لاتّصالها بقوله تعالى: (فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) (الحج: من الآية44)، فقوله: (أخذتهم) متضمّن لمعنى الإهلاك وهو القرينة الدّالة على إيراده في الآية التالية،

---

(1) ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج1، ص، 212، 213.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر البرهان، ص، 39 . وينظر: ابن الزبير الثقفي: المصدر نفسه، ج1، ص،258– 260.

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص، 126 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وطلب قوم موسى - عليه السلام - تلبية لطلبهم لأنّه واقع بعد ... عليه... فقيل جوابا لطلبهم: (فانبجست)، وقيل جوابا لطلبه: (فانفجرت)» [1]، فكلّ لفظ ناسب سياقه ولا تناقض بينهما.

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى: (**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا**) (البقرة: من الآية187).

وقوله تعالى: (**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا**) (البقرة: من الآية229).

حيث اختلف فعلا النّهي في التّركيبين؛ بأن قال في الأول: (فلا تقربوها) وقال في الثاني: (فلا تعتدوها) وهما فعلان يختلفان في المعنى، وهذا الذي سبق قد اقتضاه السّياق في كلّ آية، فالأولى تقدّم فيها قوله تعالى: (**وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**) (البقرة: من الآية187)، بينما الثانية تقدّم فيها قوله: (**الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**) (البقرة: من الآية229) .

فلما كان الحدّ الأوّل نهيًا وهو عدم المباشرة أُمِر بترك مقاربته والابتعاد عنه، ولمّا كان الحدّ الثّاني أمرًا وهو بيان عدد الطّلاق أُمِر بترك مجاوزته أو الاعتداء عليه [2].

ومن أمثلة المتشابهات التي تعتمد في التعليل على قرائن في آيات متقدّمة عليها أو متأخّرة عنها:

قوله تعالى: (**فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ**) (طـه: من الآية40) .

وقوله تعالى: (**فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ**) (القصص: من الآية13) .

فمن بين ما اختلف فيه هذان التركيبان ورود الأوّل بلفظ الرّجع (رجعناك)، وورود الثّاني بلفظ الرّد (رددنا) وهما فعلان يتقاربان في المعنى غير أنّ الرّجع إلى الشّيء ألطف من الرّد إليه، وقد خُصّت آية القصص بالردّ تصديقًا لما وقع قبلها في بداية السّورة [3] وذلك في قوله تعالى: (**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ**) (القصص: من الآية7)، فهذه القرينة وردت في آية سابقة تقدّمت التّركيب.

كذلك الأمر بالنسبة إلى:

قوله تعالى: (**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ**) (الحج: من الآية45) .

وقوله تعالى: (**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ**) (الحج: من الآية48) .

فقد خُصّت الآية الأولى بذكر الإهلاك لاتّصالها بقوله تعالى: (**فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ**) (الحج: من الآية44)، فقوله: (أخذتهم) متضمّن لمعنى الإهلاك وهو القرينة الدّالة على إيراده في الآية التالية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج1، ص، 212، 213.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر البرهان، ص، 39 . وينظر: ابن الزبير الثقفي: المصدر نفسه، ج1، ص،258- 260.

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص، 126 .

فكان قبل قوله: (فأمليت) قد سبق مما أغنى عن ذكره فيما بعد [1]، بينما خصّت الآية التي بعدها بذلك الإملاء لتقع الموافقة بينها وبين الآية التي قبلها [2] وهي قوله تعالى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) (الحج: من الآية47)، أي أنّ المعنى: وكأيّن من قرية أمهلتها ولم أعجل عليها عند استعجالها العذاب.

ومن الأمثلة كذلك:

قوله تعالى: (**وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**) (النمل: من الآية 87).

وقوله تعالى: (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**) (الزمر: من الآية68)

فقد قال في النمل: (ففزع) وقال في الزمر: (فصعق)، وهما فعلان مختلفان في المعنى، وإنّما خصّت كلّ سورة بلفظ لقرينة دلّت على ذلك، فآية النّمل وافق ما فيها قوله تعالى: (وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) (النمل: من الآية89)، أمّا آية الزمر فقد وافق ما فيها قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر:30)، لأنّ (صعق) متضمّن لمعنى (مات) [3]، فناسب كلّ لفظ مكانه الذي وضع فيه.

وهكذا نجد أنّ القرائن اللّغوية تختلف من حيث مواضعها، فتكون إمّا في بنية الآية التي ورد فيها التّركيب وإمّا خارجه، كما تختلف من حيث مضمونها، فمنها ما يكون للمناسبة والمماثلة اللّفظية بين المفردات المستعملة في المتشابهات، ومنها ما يكون للمناسبة المعنوية، أي أنّ إيراد لفظ هنا قرينته إيراد ما تضمّن معناه هناك، ومنها ما يكون للمخالفة اللّفظية والمعنوية معا.

ومن الأمثلة التي تكون فيها السورة الواحدة هي القرينة التي تعلّل سبب اختلاف تركيب فيها عن آخر شبيه به في سورة أخرى:

قوله تعالى: (**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**) (البقرة:59).

وقوله تعالى: (**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ**) (الأعراف:162) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق ،ص، 133 .

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 133. وينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج2، ص، 861، 862.

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص، 143، 144.

... موسى – عليه السلام – نهاية لطلبهم لأنّه وقع بعده وما ترتب عليه... فقيل جوابًا لطلبهم: (فانبجست)، وقيل إجابة لطلبه: (فانفجرت) "[1]، فكلّ لفظ ناسب سياقه ولا تناقض بينهما.

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا) (البقرة: من الآية187).

وقوله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا) (البقرة: من الآية229).

حيث اختلف فعلا النّهي في التّركيبين؛ بأن قال في الأول: (فلا تقربوها) وقال في الثاني: (فلا تعتدوها) وهما فعلان يختلفان في المعنى، وهذا الذي سبق قد اقتضاه السّياق في كلّ آية، فالأولى تقدّم فيها قوله تعالى: (وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) (البقرة: من الآية187)، بينما الثانية تقدّم فيها قوله: (الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) (البقرة: من الآية229) .

فلما كان الحدّ الأوّل نهيًا وهو عدم المباشرة أُمر بترك مقاربته والابتعاد عنه، ولمّا كان الحدّ الثّاني أمرًا وهو بيان عدد الطّلاق أُمِر بترك مجاوزته أو الاعتداء عليه[2].

ومن أمثلة المتشابهات التي تعتمد في التعليل على قرائن في آيات متقدّمة عليها أو متأخّرة عنها:

قوله تعالى: (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ) (طـه: من الآية40) .

وقوله تعالى: (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ) (القصص: من الآية13) .

فمن بين ما اختلف فيه هذان التركيبان ورود الأوّل بلفظ الرّجع (رجعناك)، وورود الثّاني بلفظ الرّد (رددنا) وهما فعلان يتقاربان في المعنى غير أنّ الرّجع إلى الشّيء ألطف من الرّد إليه، وقد خُصّت آية القصص بالردّ تصديقًا لما وقع قبلها في بداية السّورة [3] وذلك في قوله تعالى: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ) (القصص: من الآية7)، فهذه القرينة وردت في آية سابقة تقدّمت التّركيب.

كذلك الأمر بالنسبة إلى:

قوله تعالى: (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) (الحج: من الآية45) .

وقوله تعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) (الحج: من الآية48) .

فقد خُصّت الآية الأولى بذكر الإهلاك لاتّصالها بقوله تعالى: (فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) (الحج: من الآية44)، فقوله: (أخذتهم) متضمّن لمعنى الإهلاك وهو القرينة الدّالة على إيراده في الآية التالية،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج1، ص، 212، 213.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر البرهان، ص، 39 . وينظر: ابن الزبير الثقفي: المصدر نفسه، ج1، ص،258- 260.

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص، 126 .

فقد اختار في سورة الأعراف لفظ (فأرسلنا) وفي البقرة لفظ (فأنزلنا)، وذلك – كما يقول الكرماني-: "لأنّ لفظ الرّسول والرّسالة كثرت [كذا] في الأعراف فجاء وفقا لما قبله، وليس كذلك في سورة البقرة" (1)، فوضع كلّ كلمة في الموضع الذي يقتضيها.

وقريب من ذلك:

قوله تعالى: (**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ**) (طــه: من الآية11) .

وقوله تعالى: (**فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ**) (النمل: من الآية8) .

حيث قال في سورة طه: (أتاها) وقال في سورة النمل: (جاءها)، وسبب هذا الاختلاف في استعمال اللّفظتين: أنّ ألفاظ (الإتيان) في (طه) أكثر منها في النمل، وأن ألفاظ المجيء في (النمل) أكثر منها في (طه) (2)، أي أنّ كلّ سورة من السور السابقة لها سياق خاص، وسمة خاصة حيث تطبع ألفاظها بتلك السّمة.

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى: (**فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) (النحل:34) .

وقوله تعالى:(**وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) (الجاثــية:33) .

وقوله تعالى: (**وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) (الزمر:48) .

فاختار لفظ (العمل) في الآيتين؛ الأولى والثانية ولفظ(الكسب) في الآية الثالثة، ويرى الكرماني أنّ تخصيص كلّ آية بلفظ إنّما كان لموافقة ما قبلها وما بعدها، حيث وقعت آيتا النحل والجاثية بين ألفاظ العمل، في حين وقعت آية الزمر بين ألفاظ الكسب (3).

فقد جاء في سورة النحل قوله تعالى: (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل: من الآية28)، وقوله: (وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ) (النحل: من الآية111)، وقوله: (إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ) (النحل: من الآية119) .

وجاء في سورة الجاثية قوله تعالى: (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجاثــية: من الآية28)، وقوله: (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجاثــية: من الآية29)، وقوله: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (الجاثــية: من الآية30) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) الكرماني: المصدر السابق ، ص30 .

(2) ينظر : الكرماني: المصدر نفسه، ص126.

(3) ينظر : الكرماني: المصدر نفسه ، ص 111، 112و 167. وينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج2، ص 738 ،740.

وجاء في سورة الزمر قوله تعالى: (ذوقوا ما كنتم تكسبون) (الزمر: من الآية24)، وقوله:(فما أغنى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الزمر: من الآية50)، وقوله: (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) (الزمر: من الآية51) . وهكذا فإن السّياق العام في كلّ سورة يضفي عليها سمة تعبيريّة خاصّة تُختار من أجلها هذه اللّفظة أو تلك، بمعنى أنّ السّورة الواحدة هي سياق ذاتها تدلّ على سرّ اختيار لفظة فيها دون غيرها.

2- إبدال اسم باسم:

قد تختلف التّراكيب المتشابهة في استعمال الأسماء بإبدال لفظ منها مكان الآخر، وإذا تأمّلنا هذا الاختلاف وجدناه أمرًا مقصودًا لا تناقض فيه، ويستند في تعليله إلى قرائن السّياق، ومن أمثلة هذا النّوع ما جاء في:

قوله تعالى: (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) (آل عمران: من الآية47) .

وقوله تعالى: (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) (مريم: من الآية20) .

حيث أبدل لفظ (ولد) في سورة آل عمران بـــ (غلام) في سورة مريم، وإنّما يرجع سبب هذا الاختلاف بين الآيتين إلى أنّ الأولى تقدّمها ذكر (المسيح)، أمّا الثّانية فتقدّمها ذكر (الغلام) [1].

فقد جاء في آل عمران قوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) (آل عمران:45) ، وجاء في مريم قوله: (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً) (مريم:19) ، فكلّ لفظ ناسب مكانه.

ومن الأمثلة كذلك:

قوله تعالى: (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (يونس: من الآية104) .

وقوله تعالى: (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (النمل: من الآية91) .

فاستعمل لفظ (المؤمنين) في الأوّل ولفظ (المسلمين) في الثّاني، وسبب ذلك أنّ ما في آية يونس وافق ما قبله، وكذلك ما في آية النمل[2]، فالأولى تقدّمها لفظ (المؤمنين) في الآية قبلها وهي قوله تعالى: (كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ) (يونس: من الآية103)، أمّا الثّانية فتقدّمها ذكر لفظ (المسلمون) في قوله تعالى: (إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ) (النمل: من الآية81)، وهنا نلاحظ أنّ

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق ، ص 45.

(2) ينظر : الكرماني: المصدر نفسه ، ص 96 . وينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل: ج1، ص 634 -637.

قرينة التعليل سابقة على الترتيب، قائمة على مبدأ المماثلة اللفظية التي تقتضي [illegible] موضعها اللّائق بها.

وقد تكون قرينة إبدال لفظ بآخر لاحقة، من ذلك:

قوله تعالى على لسان نوح[٠] - عليه السلام-: ﴿لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا على اللَّهِ﴾ (هود: من الآية29).

وقوله أيضا: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (يونس: من الآية72) .

وقوله أيضا: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء:109).

فقد وردت كلمة (أجر) في الآيتين الثّانية والثّالثة بدل كلمة (مال)، وسبب ذلك أنّ الموضع الذي وردت فيه كلمة (مال) وقع بعده كلمة (خزائن) في الآية: ﴿ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ (هود: من الآية31)، " ولفظ المال بالخزائن أليق "[1]، فناسب ذكر المال هنا بخلاف المواضع الأخرى.

ومن هذا القبيل أيضا:

قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ (الأنبياء: من الآية2).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ﴾ (الشعراء: من الآية5) .

فقد خُصّت آية الأنبياء بلفظ(ربّهم) وخصّت آية الشّعراء بلفظ (الرّحمن)، ويرجع تخصيص كلّ آية بما سبق إلى قرينة لاحقة في السياق[2]، فآية الأنبياء جاء بعدها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ﴾ (الأنبياء: من الآية4)، وآية الشعراء جاء بعدها قوله تعالى: ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء: من الآية9)، وهما قرينتان؛ أفادت إحداهما التّناسب اللّفظيّ، أمّا الأخرى فأفادت التّناسب المعنويّ.

ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾ (النساء:149) .

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (الأحزاب:54) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(٠) وردت كلمة (أجر) بدل كلمة(مال) على لسان غيره من الأنبياء في: (هود51) (الشعراء127، 145، 164، 180) و(سبأ 47).

(1) ينظر: الكرماني: البرهان، ص 97، 98.

(2) ينظر : الكرماني: المصدر نفسه، ص 128.

حيث قال في آية النساء:(إن تبدوا خيرا)، وفي الأحزاب: (إن تبدوا شيئا)، [illegible] النساء وقع في مقابلة (السوء)[1] الذي تقدّم لفظه في قوله تعالى: (لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ) (النساء: من الآية148) .

فالسياق- إذن- اقتضى أن يُقابَل قولَه: (الجهر بالسّوء) قولُه: (إن تبدوا خيرا)، أمّا آية الأحزاب فالسّياق بعدها استدعى استعمال كلمة(شيء) حيث وقع بعدها قوله تعالى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) (الأحزاب: من الآية60)، وهذه الآية -كما يرى الكرماني- اقتضت العموم وأعمّ الأسماء لفظ (شيء)، كذلك فإنّ هذه الكلمة ناسبت ما وقع بعدها في الآية ذاتها[2] وهو قوله تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) (الأحزاب: من الآية54). وهكذا فإنّ كلّ سورة تضمّنت ما يستدعي استعمال هذا اللّفظ أو ذاك، إمّا بالمماثلة وإمّا بالمخالفة.

ومن الأمثلة كذلك، أن يرد التّركيب بالاسم الموصول(ما) في موضع ويرد في موضع شبيه به بالاسم الموصول (الذي)، كما في:

قوله تعالى: (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل: من الآية96) .

وقوله تعالى: (وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الزمر: من الآية35) .

وإنما كان هذا الاختلاف بينهما لما وقع قبل كلّ آية، فالأولى خُصّت بما خصّت به لتوافق ما قبلها، وكذلك الآية الثانية[3]، فآية النحل تقدّم فيها ذكر الاسم الموصول (ما) في قوله تعالى: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) (النحل: من الآية96)، كما تقدّم ذكره في الآية قبلها: (إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) (النحل: من الآية95)، أمّا آية الزمر، فتقدّم فيها ذكر الاسم الموصول (الذي) في قوله تعالى: (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا) (الزمر: من الآية35)، كما تقدّم ذكره في الآية قبلها: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) (الزمر: من الآية33) .

وإذا كانت القرينة الّتي تقتضي وضع كلّ لفظة في مكانها المناسب هي في آيات تقدّمت التّركيب أو تأخّرت عنه - كما مرّ معنا-، فإنّ من التّراكيب ما يكون سياق السورة كاملةً هو الدّاعي إلى استعمال لفظ معيّن فيها،كما في:

قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (البقرة: من الآية173) .

وقوله تعالى: (فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام: من الآية145) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص54. وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص 85.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص 54. وينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج1، ص 363.

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 167.

حيث أورد لفظ الجلالة (الله) في سورة البقرة بينما جاء بلفظ (الرّب) في سورة الأنعام.

ومن أسباب ذلك أنّ لفظ (الرّبّ) في سورة الأنعام تردّد مرّات عديدة [1] فكان هناك نوع من التّناسب اللّفظيّ فيها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ سياق آية الأنعام ورد فيه ذكر الحبوب والثّمار، وأتبعه بذكر الحيوان من الضّأن والماعز والإبل وبها تربية الأجسام ، فكان ذكر (الرّبّ) فيها أليق[2]، وبهذا السّياق ألصق، لأنّ الرّبّ من التّربية والتّنشئة.

وقريب من هذا:

قوله تعالى: (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**) (الأنعام: من الآية112) .

وقوله تعالى: (**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**) (الأنعام: من الآية137) .

فكما تقدّم، فإنّ كلمة (الرّب) تكرّرت في هذه السورة مرّات، وهو الدّاعي إلى ذكرها في الآية الأولى هنا، أمّا الآية التي بعدها فإنّ ورودها بلفظ الجلالة (الله)، فإنّما وقع موافقةً لما كان في الآية قبلها [3] وهو قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ) (الأنعام: من الآية136).

وهكذا، رأينا أن إبدال اسم باسم يقوم في التّعليل على قرائن سياقيّة مختلفة ، فمنها السّابقة ومنها اللاّحقة، ومنها أن تكون السّورة كلّها قرينة.

3- إبدال اسم بضمير:

ونعني به استعمال الاسم ظاهرا في موضع ومضمرا في موضع آخر شبيه به، كأن يرد الفاعل مثلا في تركيبين متشابهين اسما ظاهرا في أحدهما ومضمرا في الآخر، وذلك بحسب ما يقتضيه السّياق كما في:

قوله تعالى: (**فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**) (الأعراف من الآية101) .

وقوله تعالى: (**فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ**) (يونس: من الآية74) .

فقد أسند (الطّبع) في آية الأعراف إلى ذات الله تعالى، أي أنّ الفاعل هنا اسم ظاهر هو لفظ الجلالة (الله)، بينما أسند في آية يونس إلى ضمير المتكلّم بصيغة الجمع للتّعظيم، وهذا الاختلاف يفسّره السّياق في كلتا السّورتين.

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق ، ص 38.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص 38.

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 67، 68.

[illegible] الأعراف تقدّم ذكر (الله) بالكناية عنها فاستدعى ذلك ذكره بالتصريح في ختامها(1) فقال: (ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) (الأعراف: من الآية100)، ثمّ قال بعدها: (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) (الأعراف: من الآية101)، أمّا آية يونس فإنّ الأمر فيها مبنيّ على ما جاء فيها وفي الآية قبلها[2]، فالأفعال فيه مسندةٌ إلى ضمير المتكلّم بصيغة الجمع، وذلك في قوله تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ) (يونس: من الآية73)، وقوله: (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ) (يونس: من الآية75)، وبذا اتّضح الفرق بين السّياقين الذي أدّى إلى تغيّر البنية في كلّ تركيب.

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) (فاطر: من الآية31) .

وقوله تعالى: (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) (الشورى: من الآية27) .

حيث صرّح في الآية الأولى باسم (إنّ) وهو لفظ الجلالة (الله) بينما أضمره في الثّانية، وسبب هذا الاختلاف أنّ الآية التي تقدّمت آية فاطر لم يُذكر فيها لفظ الجلالة صريحا لذلك أظهره فيما بعد، بينما آية الشورى تقدّم فيها اللّفظ اسما ظاهرا، فخصّه بالكناية بعد ذلك في السّياق نفسه[3].

فقد قال في الآية (30) من سورة فاطر: (لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) (فاطر:30)، وقال في آية الشورى:(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ) (الشورى: من الآية27) . وهنا نلاحظ مغايرة القرائن اللّغوية لما ورد في التّراكيب وفق مبدإ المخالفة، أي أنّ القرينة إذا كانت إظهار الاسم خُصّ التّركيب بالإضمار والعكس بالعكس.

وقد يكون اللّفظ الظّاهر والمضمر في تركيبين متشابهين هو الاسم المجرور كما في:

قوله تعالى: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ) (النحل: من الآية61)، بإضمار الاسم المجرور في (عليها).

وقوله تعالى: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) (فاطر: من الآية45)، بإظهاره في (على ظهرها).

ويعلل الكرماني ذلك بأنّ الهاء في سورة النحل كناية عن الأرض- وهو واضح من سياق الآية- ولم يتقدّم ذكرها، فلمّا كانت هذه الهاء كناية عن غير مذكور لم يزد مع الجار لفظ (الظّهر) حتّى لا

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص 80.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص 80. وينظر: ابن الزبير جماعة: كشف المعاني، ص 108.

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص 159 .

مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يتصل بالدابة لأن (الظهر) أكثر ما يستعمل في الدابة، بينما تقدم في سورة فاطر ذكر الأرض مرّتين في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾ (فاطر:44)، فناسب ذلك ذكر (الظّهر) مصرّحا به في الآية التالية لها.

ويرى ابن الزبير الثقفي أنّ قوله: (على ظهرها) إنّما وقع في آية فاطر « ليُناسب في طول تركيبه قوله: (بما كسبوا)، كما ناسب قوله: (عليها) في الآية الأولى قوله: (بظلمهم) في قلّة حروفه تناسب التّوازن والتّقابل، فورد كلّ على ما يجب »[2]، و ناسب سياقه الذي استعمل فيه.

ومن ذلك أيضًا:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ (يونس: من الآية60) [3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر: من الآية61) .

فقال في الأوّل: (أكثرهم) وقال في الثاني: (أكثر النّاس)، وبالرّجوع إلى ما ورد في السّياق قبل كلّ تركيب يتبيّن لنا سرّ هذا الاختلاف[4]، فقد تقدّم التّركيب في سورة يونس قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: من الآية55)، بينما تقدّم التّركيب في سورة غافر قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: من الآية57)، وقوله بعده: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (غافر: من الآية59) .

ومما سبق، نلاحظ أنّ التّراكيب المتشابهة مبنيّة على المماثلة بين ما ورد في سياقها، فإذا أُظهر اللّفظ فإنّ ذلك يكون موافقة لإظهاره من قبلُ، وكذلك إذا أُضمر.

وإذا كان تعليل الاختلاف- فيما سبق- يستند إلى قرائن سابقة في الآية التي تضمّنت التّركيب أو في الآيات التي تقدّمته أو تأخّرت عنه، فإنّ ترتيب السّور قد يكون هو القرينة التي تعلّل ذلك كالذي نجده:

في قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف:82).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص 112، 113.

(2) ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج2، ص 744.

(3) ومثله في : البقرة 243 ، ويوسف 38 ، والنمل 73

(4) ينظر: الكرماني: البرهان، ص 94، 95، 169.

وقوله تعالى: (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) (النمل:56).

فقد ورد المفعول به في الآية الأولى ضميرا متّصلا في جملة (أخرجوهم)، بينما جاء اسما ظاهرا في الآية الثّانية في جملة (أخرجوا آل لوط)، لأنّ ما في سورة الأعراف – كما يقول الكرماني - كناية فسّرها في السّورة التي بعدها [1]، أي أنّ ترتيب السورتين في المصحف هو الذي اقتضى الإضمار في الأولى و الإظهار في الثانية.

ومن هذا القبيل:

قوله تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) (الأعراف: من الآية123).

وقوله تعالى: (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) (طــه: من الآية71).

وقوله تعالى: (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) (الشعراء: من الآية49).

فالفاعل في الآية الأولى اسم ظاهر هو (فرعون)، بينما وقع ضميرا في الآيتين؛ الثانية والثالثة، ويرجع هذا الاختلاف بينهما إلى كون سورة الأعراف متقدّمة على سورتي طه والشعراء لذلك صرّح في الأولى وكنّى في الأخريين [2]. وما نخرج به هنا أنّ السّورة القرآنية تغدو سياقا لغيرها من السور.

ولا يقتصر الأمر في تعليل الاختلاف بين المتشابهات من حيث إبدال الاسم الظّاهر بالضّمير على السّياق اللّغوي فحسب، بل إنّ من عناصر السياق الحالي ما يكون قرينة تفسّر ذلك.

ففي قوله تعالى: (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً) (يونس: من الآية4).

وقوله تعالى: (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ) (هود: من الآية4).

أُضمر الاسم المجرور في الأوّل وأظهر في الثاني، وذلك لاختلاف المخاطَبين في كلّ سورة؛ فآية يونس كان الخطاب فيها للمؤمنين والكافرين جميعا يدلّ عليه ما جاء بعده [*]، أمّا آية هود فالخطاب فيها للكفّار وحسب [3] يدلّ عليه ما جاء في الآية التي تقدّمتها وهو قوله تعالى: (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) (هود: من الآية3) .

ومن ذلك أيضا:

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق ، ص 79 .

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص83.

(*) وهو قوله تعالى: (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) (يونس 4).

(3) ينظر: الكرماني : البرهان، ص 92 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قوله تعالى: (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) (التوبة: من الآية8) .

وقوله تعالى: (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً) (التوبة: من الآية10) .

فقد أُبدل الضّمير في (فيكم) بلفظ (مؤمن)، وذلك لأنّ المعنيّين من الخطاب في الآية الأولى-كما يرى الكرماني- هم الكفّار، بينما هم اليهود في الآية التي تلتها [1].

وهكذا - ومن خلال ما سبق — نرى أنّ الاختلاف في اختيار الألفاظ من حيث إظهارها أو إضمارها في المتشابهات إنّما تقتضيه قرائن — مقالية أو حالية-، وأنّ كلّ لفظ يناسب السّياق الذي ورد فيه بناءً على مبدإ المشاكلة في كثير من الأحيان،أو المخالفة في حالات أخرى.

4- اختلاف الفاصلة:

من المعلوم أنّ الآية القرآنية تنتهي بفاصلة تنسجم موسيقيّا مع باقي فواصل الآي الأخرى في السّورة، وهذه ميزة واضحة في القرآن الكريم، والفاصلة من الكلمات التي قد يقع الاختلاف فيها بين الآيات المتشابهة في السورة الواحدة أو في سور متباينة حيث تكون الآية مختومة بلفظ ما في موضع وبما يختلف عنهفيموضع آخر، سواء أكان هذا اللّفظ فعلا أم اسما. وإذا كان الانسجام الموسيقيّ أو الصّوتيّ ممّا قد يؤثّر في نوع الألفاظ الفواصل، فإنّ السّياق بصفة عامة هو ما يستدعي ويفسّر الاختلاف بين هذه الألفاظ، ومن أمثلة اختلاف الفاصلة في تركيبين متشابهين، ما جاء منها فعلا كما في:

قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ) (الحشر: من الآية13) .

وقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ) (الحشر: من الآية14) .

فقد قال في الأول: (لا يفقهون) وقال بعده (لا يعقلون)، ولاشكّ أنّ خاتمة كلّ من الآيتين تنسجم موسيقيّا مع خواتم الآيات الأخرى في هذه السّورة، لكنّ السّياق أيضا يقتضي الفاصلة التي فُصلت فيها كلّ آية، ذلك أنّ الفاصلة الأولى متّصلة بقوله تعالى قبلها في آيتها وهو: (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ) (الحشر: من الآية13)، والمعنى: أنّ خوف هؤلاء المنافقين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أشدّ من خوفهم من الله تعالى، فهم يرون ظاهر الشّيء من دون باطنه فلا يفقهونه، والفقه معرفة الظّاهر والباطن[2]، فناسب ذلك نفي الفقه عنهم، و" نفي فهمهم وانسلاخهم عن النّظر والتّدبّر والتّوفيق "[3].

---

(1) ينظر:الكرماني: المصدر السابق، ص 87، 88.

(2) ينظر: الكرماني:المصدر نفسه، ص 183 .

(3) ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج2، ص 1077.

أما الفاصلة الثانية فمتصلة بقوله تعالى قبلها في آيتها وهو: (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) (الحشر: من الآية14)، أي أنّهم: « لو عقلوا لاجتمعوا على الحقّ ولم يتفرّقوا »[1]، فهم لا يثبتون على شيء، وليس عندهم قانون يقفون عنده ويرتبطون إليه فقال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ)، والعقل مشتقّ من قولهم: عَقَلْتُ البعير إذا ربطته بعقال وهو الحبل، فلمّا نُفي عنهم الارتباط مع وصفهم بشتات القلوب أخبر الله تعالى أنّ سبب ذلك أنّهم لا يعقلون [2]، فناسبت هذه الفاصلة الآية التي خُتمت بها.

وقريب من هذا:

قوله تعالى: (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ) (المنافقون: من الآية7) .

وقوله تعالى: (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) (المنافقون: من الآية8).

فقد ختم الآية الأولى بـــ (لا يفقهون) وختم الثانية بـــ(لا يعلمون)، وذلك لاتّصال كلٍّ منهما بما تقدّمه، فالأولى تقدّمها قوله تعالى: (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (المنافقون: من الآية7)، وفي معرفتها غموض يحتاج إلى فطنة وفقه، وهذان ليسَا من صفات المنافقين [3]، فاقتضى ذلك وصفهم بنفي الفقه عنهم، أمّا الثانية فتقدّمها قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) (المنافقون: من الآية8)، والمنافقون لا يعلمون أنّ الله معزّ لأوليائه ومذلّ لأعدائه [4]، وهذا ناسبه وصفهم بنفي العلم عنهم . فكلّ فاصلة-إذن- ناسبت سياق الآية الذي وردت فيه.

وقد تكون الفاصلة مناسبة لما جاء في آية تقدّمت عليها أو آية تأخّرت عنها، أوهما معًا كما في:

قوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) (التكوير:6) .

وقوله تعالى: (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) (الانفطار:3) .

فيرى الكرماني أنّ تخصيص آية التّكوير بـــ: (سُجّرت) كان موافقة لقوله تعالى بعدها: (وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ) (التكوير:12) ، ليقع الوعيد بتسعير النّار وتسجير البحار، فهناك تقارب في المعنى بين الفعلين [5].

---

(1) الكرماني: البرهان، ص 183.

(2) ينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج2، ص 1078.

(3) ينظر:الكرماني: البرهان، ص 185 .

(4) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص 185 .

(5) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 194.

أما آية الانفطار فقد خصت بـ: (فجرت) لتوافق ما قبلها وما بعدها في قوله تعالى: (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ) (الانفطار:2)، وقوله تعالى: (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) (الانفطار:4)، والمعنى: أنّ البحار مثل الكواكب والقبور، كلّها تزايل أماكنها يوم القيامة [2].

ونفهم من هذا الذي سبق، أنّ بين الفواصل وقرائنها تناسبا معنويا هو الذي أدّى إلى استعمال كلّ واحدة منها الاستعمال المناسب.

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى: (مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) (الزخرف: من الآية20) .

وقوله تعالى: (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) (الجاثـــية: من الآية24) .

حيث يرجع اختلاف الفاصلتين في هذين التّركيبين إلى أنّ الأولى متعلّقة بما جاء في الآية التي تقدّمت آيتها، فهي في سياق وصفهم بالكذب فيما ذهبوا إليه من جعلهم الملائكة بنات الله [3]، حيث قال تعالى: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا) (الزخرف: من الآية19)، فناسب ذلك كون الفاصلة فيها (يخرصون)، أي: يكذبون.

أمّا الثانية، فهي متّصلة بما تقدّم في آيتها وهو في سياق إنكارهم للبعث[4]، حيث يقول تعالى: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) (الجاثـــية: من الآية24)، فهم منكرون للبعث لكنّهم ليسوا متأكّدين من عدم وقوعه، أي أنّهم في شكّ من ذلك، وهذا ناسب كون الفاصلة (يظنّون).

أما الفواصل الأسماء فمنها:

قوله تعالى: (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) (غافر: من الآية78) .

وقوله تعالى: (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) (غافر: من الآية85) .

فقد ختم الآية الأولى بقوله: (المبطلون) وختم الآية بعدها بقوله: (الكافرون)، وذلك لأنّ كلّ كلمة مناسبة للسّياق الذي وقعت فيه، فالأولى وردت في سياق الحديث عن الحقّ، ونقيض الحق هو الباطل، بينما وردت الأخرى في سياق الحديث عن الإيمان، ونقيض الإيمان الكفر[5].

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق ، ص 194.

(2) ينظر:الكرماني: المصدر نفسه، ص 194. وينظر: ابن جماعة : كشف المعاني: ص 204 .

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 173.

(4) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 173. وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص 184 .

(5) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص 169.

ومن ذلك :

قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام: 21) .

وقوله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ) (يونس:17) .

ويرجع هذا الاختلاف بينما إلى أنّ الفاصلة في سورة الأنعام وافقت ما ورد في سياق آيتها وهو قوله: (ومن أظلم) ليكون آخر الآية لفقا لأوّلها، أمّا الفاصلة في سورة يونس فقد وافقت ما كان في الآية قبلها [1] وهو قوله تعالى: (كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) (يونس: من الآية 13). فالسياق في كلا الموضعين يختلف عن الآخر، والتّناسب بينه وبين الفاصلة تناسب لفظيّ.

ومن الأمثلة كذلك:

قوله تعالى: (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المجادلة: من الآية4) .

وقوله تعالى بعده: (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) (المجادلة: من الآية5).

وإنّما كان هذا الاختلاف في الفاصلتين " لأن الأوّل متّصل بضدّه وهو الإيمان، فتوعّد على الكفر بالعذاب الأليم الذي هو جزاء الكافرين " [2]، فقد قال في الآية: (ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المجادلة: من الآية4)، أي: أنّ الله قد شرع لكم الحدود: فمن التزمها و لم يتعدّاها فذلك المؤمن، ومن تنكّب عنها وحاد فتلك صفة الكافرين، ووصف العذاب بالإيلام ليكون أوقع وذلك بيّن التّناسب [3]، أمّا الثّاني فمتّصل بقوله تعالى: (كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) (المجادلة: من الآية5)؛ " وهو الإذلال والإهانة، فوصف العذاب بمثل ذلك فقال: (مهين) " [4]، وقد قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) (المجادلة:20)، وفي هذا دليل قويّ على أنّ هناك تناسبا بين الآية وخاتمتها .

وقد يكون اختلاف الفاصلة راجعا إلى سياق السورة ككلّ كما في:

قوله تعالى: (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ) (الإسراء: من الآية9) .

وقوله تعالى: (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً) (الكهف: من الآية2) .

فخصّ كلّ آية بفاصلة معيّنة، وهذا موافقة لفواصل الآي الأخرى في السورة كلها [5].

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص 61 . وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص 94.

(2) الكرماني: المصدر نفسه، ص 182 .

(3) ينظر : ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل ، ج 2، ص1075 ، 1076 .

(4) الكرماني: المصدر نفسه، ص 182 .

(5) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 115، 116.

فقد ورد في سورة الإسراء الفواصل: وكيلا، شكورا، كبيرا، نفيرا...
في سورة الكهف الفواصل: ولدا، كذبا، عملا، جرزا، رشدا، ...
يوافق الآيات قبلها وبعدها، ممّا يجعلها تحقّق نوعا من التّناسب والانسجام
بمعنى: أنّ السورة نفسها أضحت سياقا لما فيها من الفواصل؛ وهذه ...
الاختلاف بين المتشابهات، أمثلتها كثيرة، نذكر منها:
قوله تعالى: (وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) (المؤمنون: من الآية51) .
وقوله تعالى: (وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (سبأ: من الآية11).
كذلك:
قوله تعالى: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ) (الانشقاق:22) .
وقوله تعالى: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ) (البروج:19) .
وكذلك:
قوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين:4)
وقوله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) (البلد:4) .
فكلّ ثنائية من هذه المتشابهات يعود اختلاف الفاصلتين فيها إلى ما وقع في ... فيها [1]، أي: مراعاة الفواصل السّابقة واللاّحقة في السّورة الواحدة.

ومن ظواهر اختلاف الفواصل أيضا، أن تكون في موضع بلفظ الاسم وفي ...
كما في:
قوله تعالى: (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) (الأعراف...
وقوله تعالى: (أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (النمل:...
وسبب ذلك أنّ الفاصلة في كلّ سورة وافقت رؤوس الآيات الواردة فيها حيث إنّ ...
في الأعراف جاءت بلفظ الاسم مثل:مفسدين، مؤمنون، كافرون، جاثمين، النّاصحين ...
أمّا آية النمل فوافقت الفاصلة فيها ما قبلها من الفواصل، وجلّها أفعال: يبصرون ... تعملون... [2]

---

[1] ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص 135 و 195 و199

[2] ينظر : الكرماني: المصدر نفسه ، ص 78 ، 79 .

وما نستخلصه -من خلال ما سبق-: أن تحقق الانسجام الموسيقي بين الآيات قرينة تستدعي اختلاف الفواصل في المتشابهات منها، بالإضافة إلى أنّ بعض قرائن السّياق اللّغوي قد تقتضي ذلك أيضا.

ومن ناحية أخرى، فقد نجد من القرائن الحالية ما يعلّل سبب الاختلاف في فواصل الآيات المتشابهة كتغيّر طرفي الخطاب (المخاطِب والمخاطَب)، و أسباب النزول، وغير ذلك.

فمن المتشابهات التي يبرز فيها أثر المخاطِب في اختلاف الفاصلة:

قوله تعالى: (**سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**) (القصص: من الآية27).

وقوله تعالى: (**سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**) (الصافات: من الآية102).

فما في سورة القصص من كلام شعيب- عليه السلام- والمعنى: **من الصّالحين في حُسن المعاشرة** والوفاء بالعهد، أمّا في سورة الصّافات فهو من كلام اسماعيل- **عليه السلام**- [1].

ومما تغيرت فيه الفاصلة بتغير المخاطَب أيضا:

قوله تعالى: (**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**) (الزخرف: من الآية22).

وقوله تعالى: (**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**) (الزخرف: من الآية23).

فقد « خصّ الأول بالاهتداء لأنّه من كلام العرب في محاجّتهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وادعائهم أنّ آباءهم كانوا مهتدين، فنحن مهتدون... والثّانية حكاية عمّن كان قبلهم من الكفّار. وادعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء، فاقتضت كلّ آية ما خُتمت به » [2].

وبالمقابل، فقد يكون اختلاف الفاصلة بسبب اختلاف المخاطَب كما في:

وقوله تعالى: (**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**) (الأنبياء:92).

قوله تعالى: (**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**) (المؤمنون:52) .

فالخطاب في سورة الأنبياء للكفّار حيث أمرهم بالعبادة التي هي التّوحيد، أمّا الخطاب في سورة المؤمنون فهو للنّبي - صلى الله عليه وسلم- وللمؤمنين والأنبياء، وهم مأمورون بالتّقوى [3].

---

(1) ينظر: الكرماني: المصدر السابق، ص 145.

(2) الكرماني: المصدر نفسه، ص 173.

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 130 ، 131 .

ويقول ابن جماعة في تعليل ذلك الاختلاف: «... وأما قوله: (فاعبدون) فإنه خطاب لسائر الخلق؛ فناسب أمرهم بالعبادة والتّوحيد ودين الحقّ، وقوله تعالى: (فاتّقون) خطاب للرّسل؛ فناسب الأمر بالتّقوى »[1].

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى: (وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً) (مريم:14) .

وقوله بعده: (وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً) (مريم:32) .

فالأوّل في حقّ يحي – عليه السّلام- حيث نفى عنه العصيان، أمّا الثّاني ففي عيسى- عليه السلام- حيث نفى عنه الشّقاوة وأثبت له السّعادة [2].

ومن القرائن الحالية الأخرى المعتمدة في التّعليل، ما تعلّق بأسباب النّزول كما في:

قوله تعالى: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (المائدة: من الآية17).

وقوله تعالى بعده: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) (المائدة: من الآية18) .

فالأولى نزلت في النّصارى حين قالوا: (إنّ الله هو المسيح عيسى بن مريم)، أما الثّانية فنزلت في اليهود والنّصارى معا حين قالوا: إنّهم أبناء الله وأحباؤه [3].

ومنه أيضا:

قوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة: من الآية44) .

وقوله تعالى بعده:(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (المائدة: من الآية45) .

وقوله بعده:(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (المائدة: من الآية47).

فاختلفت الفواصل لاختلاف من نزلت فيهم آياتها- كما يرى الكرماني-، فـ«...الأولى نزلت في أحكام المسلمين، والثّانية في أحكام اليهود، والثّالثة في أحكام النّصارى » [4].

إذن، فمعرفة المخاطِب والمخاطَب وكذا معرفة أسباب النزول، كلّها تعين على فهم سبب تغيّر الفواصل في الآيات المتشابهة، وبهذا يكون لسياق الحال أثر بارز في تعليل الاختلاف بينها.

---

(1) ابن جماعة: كشف المعاني، ص 146.

(2) ينظر: الكرماني: البرهان، ص 123.

(3) ينظر : الكرماني : المصدر نفسه، ص57 ، 58 .

(4) الكرماني: المصدر نفسه، ص 58 ، 59 . وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص 89، 90.

الفصل الثالث:

أثر السياق في البنية التركيبية

المبحث الأول: التقديم والتأخير

المبحث الثاني: الحذف والذكر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

التقديم والتأخير:

ظاهرتا التّقديم والتّأخير من الظّواهر الّتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق، فتقديم لفظ (أو مجموعة ألفاظ) وتأخيره في موضع آخر لا يأتي إلاّ لغرض في الكلام، وهذا الغرض تدلّ عليه قرائن قد تكون مقالية وهي تمثّل السياق اللّغوي، أو تكون قرائن حالية وتمثّل سياق الحال أو المقام. وفيما يأتي نعرض نماذج للتقديم والتأخير في ألفاظ التّراكيب القرآنية المتشابهة، وكيف أنّ السّياق – بنوعيه- يساهم بشكل واضح في تفسير ذلك، وسنبدأ بالنّوع الأوّل وهو السياق اللّغوي.

1- السياق اللغوي:

أ – تقديم كلمة على كلمة:

من أمثلة المتشابهات التي يتحكّم السياق اللّغوي في بيان سرّ ترتيب بنيتها، نجد تقديم المفعول في آية وتأخيره في أخرى كما في:

قوله تعالى:(لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ) (المؤمنون: من الآية83) .

وقوله تعالى: (لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ) (النمل: من الآية 68) .

فالألفاظ واحدة في كلا التّركيبين غير أنّ ترتيبها يختلف، وذلك لأنّ ما في سورة (المؤمنون) قد جاء "على القياس"فإنّ الضّمير المرفوع المتّصل لا يجوز العطف عليه حتّى يؤكّد بالمنفصل، فأكّد (وعدنا نحن) ثمّ عطف عليه (آباؤنا)، ثمّ ذكر المفعول وهو (هذا)، وقدّم في (النمل) المفعول موافقة لقوله: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ) (النمل:67) ، لأنّ القياس فيه أيضا: كنّا نحن وآباؤنا ترابا، فقدّم (ترابا) ليسدّ مسد (نحن) "[1].

ويرى ابن جماعة أنّه لمّا تقدّم في سورة المؤمنون ذكر آبائهم في قوله تعالى: (بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ) (المؤمنون: 81) ؛ وهم آباؤهم، ناسب ذلك تقديم المؤكّد وهو (نحن) ليعطف عليه الآباء المقدّم ذكرهم، ثمّ تأخير المفعول الموعود لهم جميعا وهو (هذا)، في حين أن آية النمل لم يذكر فيها الأوّلون بل قال: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) (النمل: من الآية67)، فناسب ذلك تقديم المفعول الموعود، ثمّ ذكر المؤكد ليعطف عليه ثمّ لم يذكر أوّلا [2].

---

(1) الكرماني: البرهان ، 135 ، 136 .

(2) ينظر: ابن جماعة : كشف معاني ، ص 151 .

وما يمكن ملاحظته ان قرينة السياق في هذا المثال كانت سابقة، أي أنها مجاورة للوحدات المفسرة مجاورة قبلية في السورة نفسها.

وقد يتقدم المفعول على معطوفه ويتأخر في آيتين متشابهتين:

كقوله تعالى:(**قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**) (الأعراف: من الآية188).

وقوله تعالى:(**قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**) (يونس: من الآية49) .

يعلّل الكرماني ذلك بقوله:إنّ « أكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضّر والنّفع معًا جاء بتقديم لفظ الضّر على النفع، لأن العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه أولاً، ثّم طمعا في ثوابه ثانيا، يقوّيه قوله :(**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً**) (السجدة: من الآية16)، وحيث تقدّم النّفع على الضّر، تقدّم لسابقه لفظ تضمّن نفعا »[1]. وهي إشارة منه إلى السياق اللّغوي.

ويستشهد على ذلك بما ورد من القرائن التي تتضمّن هذا المعنى في كلامه، فقد تقدم في سورة الأعراف قوله تعالى: (**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**) (الأعراف:178)، وفي الآية التي بعدها قال: (**لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**) (الأعراف: من الآية188) .

فحين تقدّم لفظ الهداية وهو أمر فيه نفع على لفظ الضّلالة وهي شيء ضارّ، وتقدّم لفظ السّوء في هاتين السّورتين كان القياس على ذلك في الآية التي معنا، أن يتقدّم النّفع على الضّر.

وقد ذهب ابن الزبير الثقفي في تعليل سبب التقديم إلى أنّه لما تقدم سؤال الكفار النّبي – عليه الصلاة والسلام – عن السّاعة وتكرّر في قوله تعالى: (**يَسْأَلونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا**) (الأعراف: من الآية187)، أي عالم بها، وكان ظاهر السّياق يشير إلى أنّهم كانوا يظنّون أن النبيّ يعلمها، طلبوا منه تعريفهم بها وأن يخصّهم بذلك، ولا شكّ أنّ العلم بالشّيء فيه نفع لصاحبه، فكان تقدّم ذكر النّفع إشارة إلى ما ظنّوه أنّه عنده من علمها [2]. وهذا الكلام يقترب كثيرا ممّا قاله الكرماني من أنّ تقدّم النّفع على الضّرّ إنّما يكون لسابقة لفظ تضمّن نفعا وهو القرينة، أما في سورة يونس فقد « قدّم الضرّ على الأصل ولموافقة ما قبلها »[3]، وما قبلها هو قوله تعالى:(**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ**) (يونس: من الآية12)، وقوله تعالى:(**مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ**) (يونس: من

---

(1) الكرماني : **البرهان** ، ص 84 .

(2) ينظر ابن الزبير الثقفي : ملاك التأويل ، ج 1 ، ص 577 .

(3) الكرماني : البرهان ،ص 84 .

لآية18)، و كما نلاحظ هنا فإن قرينتي السياق اللتين اعتمدتا في سورة الأعراف إحداهما سابقة والأخرى لاحقة، وكلاهما سياق أثر في التركيب .

ويرى ابن الزبير أنّ تقدّم الضّرّ إنّما كان ليوافق ما قبله من قوله تعالى:(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) (يونس: من الآية48)، ذلك أنّ الكفّار طلبوا تعجيل العذاب استهانة وتكذيبا، و لم يعلموا ما في مطلبهم من المحنة والمضرّة العاجلة، فقال لهم النّبيّ بأمر الله تعالى: إنّي لاَ أملك الضّر ولا النّفع لنفسي ولا لكم،فقدّم الضّرّ لأجل ما تقدّم من طلبهم[1]. ومن خلال هذا الكلام نلحظ أنّ أثر السّياق واضح في التّعليل وإن اختلفت قرائن الاستشهاد .

ب – تقديم كلمة على شبه جملة:

في قوله تعالى:(**وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا**) (النحل: من الآية14) .

وقوله تعالى:(**وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا**) (فاطر: من الآية12) .

فألفاظ الآية الأولى جاء ترتيبها على القياس؛ الفعل، والفاعل، والمفعول الأول، والمفعول الثاني، ثمّ الجارّ والمجرور، غير أنّ هذين (أي الجار والمجرور) قد تقدّما المفعول الثاني في الآية الثانية .

ويستدل الكرماني في بيان سبب التّقديم بما ورد في السياق وهو قوله تعالى:(وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً) (فاطر: من الآية12)، فقد وافق تقدّم الجار والمجرور فيها تقدّمهما فيما بعد في الآية ذاتها [2]، أي أنّ تقدّم شبه الجملة (من كلّ) على الفعل (تأكلون) هنا قرينة تدّل على سبب تقدّم شبه الجملة (فيه مواخر) على المفعول هناك.

أمّا تقديمه هو (أي المفعول) على شبه الجملة في آية النحل، فيذكر ابن جماعة أنّه لّما امتنّ الله تعالى على النّاس بتسخير البحر في الآية نفسها، ناسب ذلك تقديم (مواخر) ومعناها: شاقّة للماء، وأيضا ليَليَ المفعول الثّاني المفعول الأوّل لـــ (ترى)، فإنّه أولى من تقديم الظّرف أو شبه الجملة [3].

إنّ القرينة التي تضمّنها السياق في التّعليل كانت في سياق الآية نفسها، أي أنّها مجاورة للوحدات المراد بيان سبب تقدّها مجاورة قريبة .

---

(1) ينظر: ابن الزبير الثقفي : ملاك التأويل ، ج1 ، ص 578 .

(2) ينظر الكرماني : البرهان ، ص 110 . وينظر : ابن الزبير: المصدر نفسه، ج2 ، ص734 ، 735 .

(3) ينظر: ابن جماعة : كشف المعاني ، ص 130 .

ومن الكلمات التي تتقدّم على الجار والمجرور في موضع وتتأخّر عنه في آخر، ما وقع منها صفة كما في:

قوله تعالى: (**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ**) (المؤمنون: من الآية24) .

وقوله تعالى :(**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) (المؤمنون: من الآية33) .

فكما هو ظاهر فإنّ الصّفة في الآية الأولى وهي (الذين) قد تقدّمت الجار والمجرور (من قومه)، في حين أنّها تأخّرت عنهما في الآية الثانية وذلك لأنّ « صلة (الذين) في الأولى اقتصرت على الفعل وضمير الفاعل(كفروا)، وليس كذلك في الأخرى فإن صلة الموصول طالت فقدّم الجارّ والمجرور، ولأنّ تأخيره ملتبس وتوسّطه ركيك، فخصّ بالتقديم »[1].

وهذا الذي سبق قد أملاه السياق اللّغوي للآية نفسها، والذي ساهم بشكل واضح في إزالة اللّبس الممكن وقوعه، بمعنى: أنّ التّركيب نفسه كان سياقا اعتمد عليه في تعليل بنيته.

ج – تقديم شبه جملة على شبه جملة :

لا يقتصر التقديم والتأخير في المتشابهات على الألفاظ وحسب، بل إنّ الأمر يمتدّ إلى الجمل وأشباهها، فقد يتقدّم في تركيب ما شبه جملة على آخر، ويتأخّر عنه في تركيب مشابه، وكذلك الحال بالنّسبة إلى الجملة، ولكنّ قرائن السّياق تبقى –دائما– هي الفيصل في تفسير علّة التّقديم أو التّأخير أو كليهما معًا ففي:

قوله تعالى:(**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) (الأنفال:من الآية72).

وقوله تعالى:(**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ**) (التوبة: من الآية20).

وبالاعتماد على ما تمليه قرائن السياق يعلّل الكرماني سبب التقديم في السورة الأولى: بأنها قد تقدّم فيها ذكر المال والفداء والغنيمة [2] وذلك في قوله تعالى:(تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) (الأنفال: من الآية67)، وقوله تعالى: (لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ) (الأنفال: من الآية68)، وقوله تعالى:(فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ) (الأنفال: من الآية69)، فناسب هذا تقديم إنفاق الأموال في سبيل الله، أما في سورة التوبة فقد تقدّم قوله: (في سبيل الله) على قوله: (بأموالهم) لأنّ ذكر الجهاد قُدّم

---

(1) الكرماني : البرهان ، ص 134 ، 135 .

(2) ينظر : الكرماني : المصدر نفسه ، ص 68 . وينظر : ابن جماعة : كشف المعاني ، ص 112.

قبلُ في السورة [1]، وذلك في قوله تعالى: (وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) (التوبة: من الآية16)، وقوله: (كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (التوبة: من الآية19) . فتقدّم ذكر الجهاد في هاتين الآيتين ناسبه تقدّم ذكر الجهاد في الآية بعدها.

أما ابن جماعة فيذكر أن سبب التّقديم في آية التوبة، بأنّه تقدم في هذه السّورة ذكر افتخار المسلمين بعمارة المسجد الحرام على المجاهدين، فناسب ذلك تقديم الجهاد في سبيل الله على ذكر الأموال لأنّه أهمّ [2].

وبناء على ما سبق يمكن القول: إنّ السّورة القرآنية الواحدة قد تكون سياقا متكاملا لتعليل ما فيها من التّراكيب المتشابهة .

وقد يكون التّعليل من خارج السورة الواحدة بأن يكون تركيب في سورة ما قرينة للدّلالة على تركيب مشابه له في سورة أخرى كالذي في:

قوله تعالى: (**لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ**) (إبراهيم: من الآية18).

وقوله تعالى:(**لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا**) (البقرة: من الآية264) .

فالمقارنة بين التّركيبين تبيّن أنّ ما تقدّم في الآية الأولى تأخّر في الآية الثانية والعكس، وذلك لأنّ « الأصل ما في البقرة » [3] باعتبارها أولى السور في ترتيب المصحف.

ونجد هذا التعليل نفسه يصدق على:

قوله تعالى: (**وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**) (البقرة: من الآية173) ، حيث تقدّم الجار والمجرور(به) ، في حين تأخر في قوله تعالى: (**وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**) (المائدة: من الآية3)، وقوله تعالى: (**أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**) (الأنعام: من الآية 145)، وقوله تعالى: (**وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**) (النحل: من الآية115) .

فتقديم الجار والمجرور في سورة البقرة هو « الأصل ... ليُعْلَمَ ما يقتضيه اللّفظ ، ثمّ قدّم فيما سواها ما هو المستنكر وهو الذّبح لغير الله، وتقديم ما هو الغرض أوْلَى، ولهذا جاز تقديم المفعول على الفاعل، والحال على ذي الحال، والظرف على العامل فيه...»[4]، وهنا تتجلّى لنا فكرة كون القرآن نصّا واحدا يفسّر بعضه بعضا.

---

(1) ينظر: الكرماني : المصدر السابق ، ص 86 .

(2) ينظر : ابن جماعة : كشف المعاني ، ص 112 .

(3) الكرماني : البرهان ، ص 107 .

(4) الكرماني : المصدر نفسه ، ص 37 .

د – تقديم جملة على جملة :

في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ) (آل عمران: من الآية40).

وقوله تعالى:(قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً) (مريم:8).

فقد تقدّمت جملة (بلغني الكبر) في الآية الأولى على جملة (امرأتي عاقر)، بينما وقع خلاف ذلك في الآية الثانية، والسّبب أنّه: « في مريم قد تقدّم ذكر الكبر في قوله: (وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) (مريم: من الآية4)، وتأخّر ذكر المرأة في قوله: (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً) (مريم: من الآية5)، ثمّ أعاد ذكرها فأخّر ذكر (الكبر) ليوافق (عتيا) ما بعده من الآيات وهي (سويا) ،و(عشيا) ، و(صبيا) » [1].

وإلى هذا الرأي ذهب ابن الزبير الثّقفي حيث يرى « أنّ المعنى وإن كان في السّورتين واحدا وفي قضيّة واحدة فإن مقاطع آيِ سورة مريم وفواصلها استدعت ما يجري على حكمها ويناسبها ... أمّا آية آل عمران فلم يتقدّم ما قبلها وما بعدها بمقطع مخصوص فجرت هي على مثل ذلك » [2] ، أي أنّ السّياق العام في كلّ سورة اقتضى تقديم جملة على أخرى .

ومن الأمثلة كذلك :

قوله تعالى: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (الأنعام: من الآية102).

وقوله تعالى : (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (غافر: من الآية62).

فالتّقديم والتّأخير كانا بين الجملتين (لا إلــه إلاّ هو) و (خالق كل شيء)، وسبب هذا الاختلاف في التّركيب يرجع إلى ما ورد في سياق كل سورة، ففي الأنعام ذكر قبل الآية لفظ الشّركاء والبنين والبنات[3]وذلك في قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنعام:100)، فكانت جملة (لا إلــه إلاّ هو) لنفي الشّريك وتوحيد الله أولى بالتّقديم، أمّا في (غافر) فقد تقدم ذكر الخلق [4] على الآية وذلك في قوله تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (غافر:57)، فكانت جملة (خالق كل شيء) أولى بالتّقديم.

---

(1) الكرماني : المصدر السابق ، ص 45 .

(2) ابن الزبير الثقفي : ملاك التأويل ، ج1 ، ص 298 ، 299 .

(3) ينظر: الكرماني : البرهان ، ص67 . وينظر : ابن الزبير الثقفي : المصدر نفسه ، ج1 ، ص 468 ، 469 .

(4) ينظر : الكرماني : المصدر نفسه ،ص 67 . وينظر : ابن الزبير الثقفي : المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 469 .

والنتيجة التي يمكن أن نسجّلها هنا: أنّ السياق اللّغوي له الأثر البارز في تعليل سبب التّقديم والتّأخير في بُنى التّراكيب القرآنية المتشابهة، وسواء في ذلك أكان التقديم والتأخير بين ألفاظ مفردة أم بين ألفاظ مركّبة وهي الجمل وأشباهها.

2_ سياق الحال (المقام):

يشكّل سياق الحال (أو المقام) بعناصره المختلفة وسيلة هامة في معرفة معاني الآيات ودلالاتها، وعليه فإنه يُعتمد في تعليل بنية التراكيب المتشابهة ووضع كل تركيب منها في سياقه الصحيح. وأبرز عناصر المقام الّتي ظهرت لدينا-ههنا-في مبحث التقديم والتأخير عنصرا المخاطَب وأسباب النزول.

أ_ المخاطَب:

من أمثلته :

قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ**) (النساء: من الآية135) .

وقوله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ**) (المائدة: من الآية8) .

بالتركيز على شبه الجملة من الجارّ والمجرور (لله) الّذي تأخّر في الآية الأولى، وتقدّم في الآية الثانية يعلّل الكرماني بأنّ (لله) في الأولى " متّصل ومتعلّق بالشّهادة بدليل قوله: (وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ) (النساء: من الآية135)، أي: ولو تشهدون عليهم، وفي (المائدة) منفصل ومتّصل بقوامين والخطاب للولاة بدليل قوله: (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ) (المائدة: من الآية8) "[1].

فيكون الخطاب في آية (المائدة) موجّها إلى الولاة – وهم المخاطَبون- جاءت بنية التّركيب فيها بتقديم الجار والمجرور (لله)، أمّا آية (النّساء) فيُفهم من خلال ما تقدّم فيها من آيات أنّ الخطاب موجّه إلى فئة من النّاس غير الولاة وهم الأزواج. فاختلاف المخاطبين – إذن- قرينة حالية أثّرت في بنية كلا التّركيبين.

وفي قوله تعالى: (**يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ**) (العنكبوت: من الآية21) . وردت هذه الآية [2]في هذه السّورة بتقديم العذاب على **الرّحمة**، وذلك لأنّ الخطاب فيها موجّه إلى نمرود

---

(1) الكرماني : المصدر السابق ، ص 54 .

(2) وقد تقدم معنى الرحمة ضمنا في : البقرة 284 ، وآل عمران 129 ، و المائدة 18 و 40 .

وأصحابه بحكم كونهم كفّارا، وأنّ العذاب وقع بهم في الدنيا[1]، فالمخاطَب هنا مقصود لذاته والعقاب سيقع به في الدّنيا، لذلك تقدّم لفظ العذاب على لفظ الرّحمة .

وقد يكون مكان وجود المخاطَب ممّا يؤثّر في بنية التّركيب ففي:

قوله تعالى:(**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ**) (يونس: من الآية61).

وقوله تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ**) (آل عمران:5) .

وقوله تعالى :(**وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ**) (ابراهيم: من الآية38).

نلاحظ تقديم لفظ (الأرض) على (السماء)[2] وذلك "لكون المخاطبين فيها"[3]، فالقرآن الكريم خطاب الله تعالى لأهل الأرض، وكونهم فيها استدعى ذلك تقديم لفظها على لفظ السماء في هذه التّراكيب.

ب –أسباب النّـــزول:

لاشكّ أنّ أسباب النّزول على- تنوّعها- تعين على فهم الآيات والمراد منها، وعليه فإن معرفتها ضروريّة، وهذا سيؤدّي –حتما- إلى الوقوف على أسرار جمّة في بُنى التّراكيب القرآنية بشكل عام، والمتشابهات منها بشكل خاصّ . ولمعرفة أثر هذه الأسباب في التقديم والتأخير نذكر بعض الأمثلة:

في قوله تعالى:(**فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**) (البقرة: من الآية284).

وقوله تعالى : (**يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**) (آل عمران: من الآية129).

وقوله تعالى :(**يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**) (المائدة: من الآية18) .

وقوله تعالى:(**يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ**) (المائدة: من الآية40) .

نلاحظ أنّ جميع هذه الآيات تقدّم فيها لفظ المغفرة على لفظ العذاب ما عدا الآية الأخيرة من سورة المائدة، وذلك " لأنّها نزلت في حقّ...السّارق والسّارقة، وعذابهما يقع في الدّنيا "[4] بدليل قوله تعالى: (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ**) (المائدة: من الآية38)، فقوله: (فاقطعوا) صيغة أمر تقتضي وقوع العذاب في الدّنيا.

---

(1) الكرماني : البرهان ، ص 142 .

(2) تقدم لفظ السماء بصيغة الجمع على لفظ الأرض في باقي المواضع من القرآن الكريم .

(3) الكرماني : البرهان ، ص 95 .

(4) الكرماني: المصدر نفسه ، ص43 . وينظر : ابن جماعة : كشف المعاني ، ص 74 ، 75 .

فسبب النّزول هنا تعلق بحكم شرعيّ وهو إقامة الحدّ على السّارق، وعلى هذا فهو قرينة تقدّم بسببها لفظ العذاب على لفظ المغفرة .

وقد يتعلّق سبب النّزول بأمر تشريعيّ، ويكون قرينة تعلّل سبب التّقديم في آية والتّأخير في آية أخرى كالذي في:

قوله تعالى:(**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**) (البقرة: من الآية120).

وقوله تعالى:(**قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ**) (آل عمران: من الآية73).

فالاسم الذي وقع خبر (إنّ) وهو (هدى الله) في الآية الثانية قد كان في الأولى اسمها، وسبب ذلك أنّ ما في سورة البقرة " معناه القبلة لأنّ الآية نزلت في تحويل القبلة، وتقديره: قل إنّ قبلة الله هي الكعبة " [1]، وعلى هذا يكون (الهدى) في هذه السورة غير (الهدى) في سورة آل عمران إذ معناه فيها هو الدّين[2]، والتّقدير:قل إن دين الله الإسلام .

وقد يكون سبب النّزول سؤالاً وجّه إلى النّبيّ- صلّى الله عليه وسلم- فيُعتمد قرينة حالية كما في:

قوله تعالى:(**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ**) (الإسراء: من الآية89) .

وقوله تعالى:(**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ**) (الكهف: من الآية54) .

فقد تقدّم قوله: (في هذا القرآن) على قوله : (للناس) في سورة الكهف لأنّ ذكر القرآن فيها كان جلّ الغرض، فاليهود سألوا النبّي- صلى الله عليه وسلم- عن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين فكان جوابه لهم وحيًا من الله أوحاه إليهم في القرآن، لذلك تقدّم لفظه في هـذا الموضع[3]. وهكذا يتبيّن لنا أسباب النّزول من القرائن الحالية التي تفسّـر وتعلّل التّقديم والتّأخير في التراكيب المتشابهة.

---

(1) الكرماني : المصدر السابق، ص 47 ، 48 .

(2) ينظر: الكرماني : المصدر نفسه ، ص 47 . وينظر : ابن جماعة : كشف المعاني ، ص 63 .

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص 117 .

المبحث الثاني:

الحذف و الذكر:

يعدّ الحذف والذّكر في المتشابهات من بين الظّواهر الّتي يتجلّى فيها أثر السّياق بوضوح فحذف جزء من الخطاب في تركيب وذكره في تركيب مشابه إنّما يكون في الحالين موافقا للسياق، ولذلك وجدنا الكرماني يستند في تعليل الظاهرة إلى قرائـــن – سياقية أو حالية – وسواء في ذلك أكان العنصر المحذوف حرفا، أم كلمة، أم شبه جملة، أم جملة، وبذلك يمكن الحديث عن نوعين من السّياق كما تقدم في المبحث السّابق.

1– السياق اللغوي:

أ – حذف حرف:

– لام التوكيد:

في قوله تعالى:(إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام: من الآية165).

وقوله تعالى :(إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأعراف: من الآية167).

نلاحظ اقتران الخبر (سريع) بلام التّوكيد في سورة الأعراف وسبب هذا الاختلاف كما – يقول الكرماني– هو ما تقدّم في الآية[1]، حيث وقعت بعد قوله تعالى: (وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ) (الأعراف: من الآية165)، وقوله تعالى: (كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (الأعراف: من الآية166).

فهاتان الآيتان ورد فيهما ذكر العذاب والعقاب الذي أخذ الله به القوم، فناسب ذلك توكيد الخبر(سريع العقاب) باللّام.

أمّا آية الأنعام فيرى ابن الزبير الثقفي أنّها وردت بغير لام التّوكيد لأنّه تقدّمها قوله تعالى: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأنعام: من الآية161) وقوله: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ) (الأنعام: من الآية165)، ذلك أن عقاب أهل القبلة وهم المؤمنون منقطع بفضل الله تعالى فلا حامل على تأكيد الخبر،لأنّ ذكر العقاب هنا تخويف يحمل المؤمن على استصحاب الرّعب والرّهب وما ينبغي له أن يكون عليه [2].

---

(1) ينظر : الكرماني : المصدر السابق ، ص 70 .

(2) ينظر : ابن الزبير الثقفي : ملاك التأويل ، ج 1 ، ص 485 ، 486 .

وفي قوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) (فاطر: من الآية31).

وقوله تعالى:(إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) (الشورى: من الآية27).

ذكر الخبر في الآية الأولى (لخبير) مقترنا باللاّم بخلاف الآية الثانية التي حذفت منها، وبالنّظر إلى سياق الآيات في كلّ سورة نرى أن دخول اللاّم في الخبر وعدمه كلاهما كان موافقة لما ورد قبل الآية أو بعدها [1].

فالأولى وافق فيها دخول اللاّم قوله تعالى بعدها: (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) (فاطر: من الآية34) ، والثانية وافق حذفها قوله تعالى قبلها: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) (الشورى: من الآية23)، وهذا نوع من المجانسة أو المشاكلة بين التّراكيب المتشابهة في السياق الواحد .

- حرف الجر:

في قوله تعالى: (وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ) (البقرة: من الآية271)، ذكر حرف الجرّ (من)[2] لأنّ الآيات التي تلت هذه الآية ورد فيها حرف الجر هذا [3] وهي قوله تعالى مَرَتَيْنِ: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ) (البقرة: من الآية272)، ومرة في قوله: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ) (البقرة: من الآية273)، فاقتضى ذلك دخول حرف الجرّ في الآية الأولى.

وقد يكون السياق الذي من أجله يكون الحذف أو الذّكر هو الآية نفسها كحذف حرف الباء في :

قوله تعالى: (جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) (آل عمران: من الآية184)، فـ (الباء) ههنا اقترن بلفظ (البينات) من دون لفظتي (الزبر) و(الكتاب)، بينما في سورة فاطر اقترن بها جميعا وذلك في قوله تعالى: (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) (فاطر: من الآية25) .

وسبب هذا الاختلاف - فيما يذهب إليه الكرماني- أنّ الكلام في الآية الأولى مبنيّ على الاختصار، ولفظ الماضي في الشّرط أخفّ، والفعل فيها مبنيّ للمجهول وهو لا يحتاج إلى ذكر الفاعل، فهذه كلّها قرائن اقتضت حذف الباءات، بخلاف ما في الآية الثانية: (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) (فاطر: من الآية 25)، فإنّ الشّرط فيها بلفظ المستقبل، والفعل مبنيّ

---

(1) ينظر: الكرماني : البرهان ، ص 159 ، 160 .

(2) بينما حذف في : الأنفال 29 ، و الفتح 5 ، و التحريم 8 .

(3) ينظر : الكرماني : البرهان ، ص 43 .

للمعلوم والفاعل مذكور معه، فوافق ذلك ذكر الباءات ليكون كلّه على نسق واحد[1]، أي سياق واحد .

ومن أمثلة حذف الجار كذلك:

قوله تعالى:(**لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً**) (النحل: من الآية70) .

وقوله تعالى:(**لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً**) (الحج: من الآية5) .

فحرف الجرّ (من) -كما هو واضح- محذوف من الأوّل ومذكور في الثاني، وهذا إنّما اقتضاه سياق كل آية، فالتّركيب الأوّل تقدّمه قوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) (النحل: من الآية70)، والتركيب الثّاني تقدّمه قوله تعالى: (فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) (الحج: من الآية5)، فكلتا الآيتين تتحدّث عن الخلق، غير أنّ سورة النحل كان الحديث فيها مجملا، بينما جاء في سورة الحجّ مفّصلا، " فاقتضى الإجمال الحذف والتّفصيل الإثبات، فجاء في كلّ سورة بما اقتضاه الحال "[2].

وقد يكون الذّكر قرينة تستدعي الحذف في التّركيب الواحد تجنّبا للتّكرار كما في:

قوله تعالى: (**وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً**) (الأعراف: من الآية74).

وقوله تعالى: (**يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتا**) (الحجر: من الآية82) .

وقوله تعالى :(**وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً**) (الشعراء: من الآية149) .

فنلاحظ أن التركيب واحد في كل آية، غير أنّه في سورة الأعراف ورد بحذف حرف الجر (من)، ويعللّ الكرماني ذلك بأنّ آية الأعراف قد تقدّم فيها ذكر حرف الجرّ (من)[3] في قوله تعالى: (تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً) (الأعراف: من الآية74)، فكان هذا سببا لحذفه بعد ذلك في الآية نفسها.

وقد يكون ترتيب السّور هو القرينة التي تعلّل الحذف أو الذّكر في التّراكيب كما في :

قوله تعالى:(**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ**) (البقرة: من الآية23) .

وقوله تعالى:(**قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ**) (يونس: من الآية38) .

---

(1) ينظر : الكرماني : المصدر نفسه ، ص 49 ، 50 .

(2) الكرماني:المصدر نفسه ، ص 114 . وينظر:ابن جماعة :كشف المعاني،ص 132 .

(3) ينظر:الكرماني: المصدر نفسه ، 78 .

ففي الأول ذكر حرف الجرّ بينما حذف في الثاني، ويقول الكرماني في هذا : « لمّا كانت هذه السورة [البقرة] سنام القرآن وأوّله بعد الفاتحة حسُن دخول (من) فيها ليُعلم أنّ التّحدّي واقع على جميع سور القرآن من أوّله إلى آخره، وغيرها من السّور لو دخلها (من) لكان التحدّي واقعًا على بعض السّور دون بعض »[1].

فالقرآن -إذن- هو سياق واحد يعلّل بعضه بعضًا، والعبرة إنّما هي بتماسك هذا السّياق وانسجامه بما يجعل النّص وحدة متكاملة، سواء أكان ذلك بالتّماثل بين التراكيب أم بالمخالفة بينها.

- حرف الواو:

في قوله تعالى:(**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**) (البقرة:58) .

وقوله تعالى:(**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**) (الأعراف:161) .

نلاحظ أن جملة (سنزيد) في سورة البقرة وردت معطوفة على ما قبلها، لكنّها في سورة الأعراف وقعت استئنافا للكلام، وسبب هذا الاختلاف -كما يذكر الكرماني- أنّ اتّصال الواو في الأولى أشدّ لاتفاق اللّفظين[2]، فبالنّظر إلى سياق الآية فيها (أي في سورة البقرة) نجد أن فعل القول أُسند إلى الله تعالى في قوله: (وإذ قلنا)، فاتّفق هذا مع قوله: (وسنزيد)، بخلاف ما في آية الأعراف، فإن فعل القول فيها مبنيّ للمجهول وقوله: (سنزيد) مبنيّ للمعلوم، فلاءم ذلك حذف حرف العطف فيها لتكون استئنافا.

ويرى ابن الزبير الثّقفي أنّ زيادة واو العطف إنّما وقعت لأنّ المتقدّم قبل، قوله تعالى: (**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**) (البقرة: من الآية40)، وتعداد النّعم يستدعي تفصيلها شيئا بعد شيء فناسب ذلك العطف بالواو ليجري على ما تقدّم من تعداد تلك النّعم وضروب الإنعام بالعفو عن الزّلاّت والامتنان بضروب الإحسان، أمّا الأعراف فلم يرد قبلها ما ورد في سورة البقرة [3].

---

(1) الكرماني: المصدر السابق، ص 25 .

(2) ينظر : الكرماني : المصدر نفسه، ص 29 .

(3) ينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل ج 1 ،ص 207 ، 208 .

ومن الأمثلة كذلك:

قوله تعالى: (**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) (النساء:13) .

و قوله تعالى: (**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) (التوبة :89).

فجملة (ذلك الفوز العظيم) وردت في سورة النساء متّصلة بحرف الواو، أمّا في سورة التوبة فوقع خلاف ذلك، ويرى الكرماني أنّ تخصيص سورة النساء بالواو له وجهان لم يكونا في براءة؛ أحدهما موافقة لما قبلها والآخر موافقة لما بعدها[1]، أي: قرينة سابقة وقرينة لاحقة .

فما قبلها هو ما ورد في الآية نفسها وهو قوله تعالى: (ومن يطع الله)، فهذه الجملة مبدوءة بالواو، وما بعدها هو ما جاء في قوله تعالى: (وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) (النساء: من الآية14)، وهذا وذاك ناسبه ذكر الواو في الآية .

وهكذا ومن خلال ما سبق يمكننا القول: إن حذف الواو وذكره (أو الوصل والفصل) في المتشابهات تعلّله هو الآخر قرائن قد تكون سابقة لها أو لاحقة، وقد تكون التّراكيب المتشابهة هي نفسها سياقا لغويًّا يعلّل ما ورد فيها من اختلاف .

- حرف الفاء:

في قوله تعالى:(**قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**) (الأنعام: من الآية135) .

وقوله تعالى:(**وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ**) (هود: من الآية93).

فقوله تعالى: (سوف تعلمون) اقترن في الأول بالفاء ولم يكن كذلك في الثاني ، وبالنّظر إلى سياق كلّ آية -كما يرى الكرماني- نجد أنّ الآية الأولى تقدّم فيها قوله تعالى: (قل)، فأمرهم أمر وعيد بقوله: (اعملوا)، أي: اعملوا فستجزون، بينما سورة هود لم يكن فيها (قل)، فصارت جملة (سوف تعلمون) استئنافا للكلام [2].

ويتضّح لنا الأمر أكثر عندما نستقرئ ما ذكره ابن الزبير الثقفي حيث يرى أنّ آية الأنعام لمّا افتتحت بأمر الله تعالى نبيّه -عليه السلام- بوعيدهم في قوله سبحانه: (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم)، قوِيَ فيها تقدير معنى الشّرط المنجرّ تقديره في الأوامر لافتتاحها بأمره تعالى نبيّه - عليه

---

(1) ينظر الكرماني:البرهان، ص 51 .

(2) ينظر :الكرماني : المصدر نفسه ، ص 68 .

السلام-، ثمّ أمره - عليه السلام- لهم في قوله: (اعملوا)، فاعتضد ما يستدعي الجوابية بالفاء فوردت في الجواب المبنيّ على الشّرط المقّدر بعد هذا الأمر، أمّا آية هود فهي إخبار للنبيّ-صلى الله عليه وسلم-، لذلك ضعُف فيها تقدير الشّرط فلم تدخل الفاء [1]. فكلّ آية-إذن- تضمّنت قرينة تدلّ على سبب ما فيها من حذف أو ذكر.

ومن الأمثلة كذلك:

قوله تعالى:(**قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ**) (الأعراف:15) .

و قوله تعالى:(**قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ**) (الحجر:37) .

و قوله تعالى:(**قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ**) (ص:80) .

ففي الأوّل لم يذكر حرف الفاء بينما ذكر في الثاني والثالث، وذلك « لأنّ الجواب يُبنى على السؤال ولمّا خلا في هذه السورة [الأعراف] عن الفاء خلا الجواب عنه، ولمّا ثبتت الفاء في السّورتين [الحجر وص] ثبتت في الجواب » [2]، أي أنّ سياق الكلام في الأعراف يختلف عنه في سورتي الحجر وص .

فالذي خلا عن الفاء هو قوله تعالى: (قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الأعراف:14)، واللّذان ثبت حرف الفاء فيهما هما قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الحجر:36)، وقوله تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (ص:79) .

ويعلّق ابن جماعة على ذلك الاختلاف بين الآيات بـــ« أنّ آية الأعراف استئناف سؤال غير مسبَّب عمّا قبله فلا وجه للفاء...وحيث جاء بالفاء فهو مسبَّب عمّا قبله تقديره: إنْ أخرجتني فأنظرني » [3]، فلمّا جاء بفاء السّببية هنا اقتضى ذلك مجيء قوله: (فإنّك من المنظرين) من سورتي (الحجر)و(ص) بالفاء.

- حرف أن:

في قوله تعالى:(**وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ**) (النمل: من الآية10) .

وقوله تعالى:(**وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ**) (القصص: من الآية31).

ذكر (أن) في آية القصص دون آية النمل، وهذا الاختلاف يفسّره ما وقع من آيات قبل كلّ تركيب، فالأوّل جاء بعد قوله تعالى: (نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ

---

(1) ينظر ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل ، ج1، ص477 .

(2) الكرماني: البرهان، ص 72 .

(3) ابن جماعة: كشف المعاني، ص 103.

الْعَالَمِينَ () يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (النمل:8 ، 9)، والثّاني كان بعد قوله تعالى: (أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (القصص: من الآية30)، ويرى الكرماني أنّه لما حيل في سورة النمل بين (نودي أن بورك) و (ألق عصاك) بجملة (يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم)، استدعى ذلك حذف (أن) من بعد، أمّا سورة القصص فلم يكن فيها حائل أو جملة أخرى عطف بها على ما سبقها فحسُن إثبات (أن) [1].

ويعلّل أبو يحي زكريا هذا الاختلاف معتمدا السّياق بطريقة أخرى، فيرى أنّ آية النمل تقدّم فيها فعلٌ بعد (أن) وهو (بورك) فحسُن عطف الفعل عليه دون ذكر (أن)، أمّا ما في القصص فلم يتقدّمه فعلٌ بعد (أن) فذُكرت (أن) لتكون الجملة (أن ألق عصاك) معطوفة على جملة (أن يا موسى إنّي أنا الله) [2]، فسياق كلّ آية هو الذي اقتضى ذكر (أن) أو حذفَه.

ومن ذلك أيضا:

قوله تعالى:(وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً) (العنكبوت: من الآية33).

وفي قوله تعالى:(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً) (هود: من الآية77).

نلاحظ أن التركيب الأول ورد بذكر (أن) ، والتركيب الثاني ورد من دونه. ويعلّل الكرماني هذا الاختلاف بقوله إنّ « (لّما) يقتضي جوابا وإذا اتّصل به (أن) دلّ على أن الجواب وقع في الحال من غير تراخ » [3] كما في سورة (العنكبوت)، والجواب هو قوله تعالى في الآية: (سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً) (العنكبوت: من الآية33)، فكان هذا قرينة حسُن بها ذكر (أن)، أما حذفه في سورة (هود) فقد وقع لأنّ الجواب فيها اتّصل به كلام بعد كلام [4] إلى قوله تعالى: (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) (هود: من الآية81)، فكلام الرّسل جاء بعد طول حديث عن قوم لوط في سورة (هود)، وجاء خلاف ذلك في سورة (العنكبوت) حيث سياق الآية هو: (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) (العنكبوت:33) .

---

(1) ينظر: الكرماني:البرهان ، ص 141 ، 142.

(2) ينظر: أبو يحيا زكريا : فتح الرحمن ، ص 418 ، 419 .

(3) الكرماني:البرهان، ص 149.

(4) ينظر:الكرماني: المصدر نفسه، ص 149.

ومما سبق: فإنّ حذف الفاء أو ذكره في المتشابهات استند-كما رأينا- في التّعليل إلى قرائن مقالية اختلفت مواضعها في السّور القرآنية، فمنها ما جاور المتشابهات مجاورة قريبة، ومنها ما كانت مجاورته بعيدة .

ب- حذف كلمة:

قد تكون الكلمة المحذوفة اسما ظاهرًا وقد تكون ضميرًا ، فمن أمثلة الاسم الظاهر:

قوله تعالى:(**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ**) (لقمان: من الآية14).

وقوله تعالى:(**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً**) (العنكبوت: من الآية8) .

نلاحظ أن كلمة (حُسنا) المذكورة في الآية الثانية حُذفت في الأولى، ويعلّل الكرماني سبب الحذف بما ورد في سياق الآية ذاتها في قوله تعالى: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) (لقمان: من الآية14)، الذي تضمّن معنى الإحسان فقام هذا المعنى مقام ما حذف [1] وكان قرينة تدلّ على ذلك، أمّا آية العنكبوت فقد تقدّمها قوله تعالى: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) (العنكبوت: من الآية7)، « وبرّ الوالدين من أحسن الأعمال، فناسب ذكر الإحسان إليهما » [2].

و من هذا القبيل:

قوله تعالى:(**وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا**) (الأعراف: من الآية113) .

وقوله تعالى :(**فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ**) (الشعراء: من الآية41) .

ذكر المفعول به في آية الأعراف وهو كلمة (فرعون)، بينما هو في آية الشعراء محذوف إذ تقدير الكلام فيها: فلمّا جاء السّحرة فرعون قالوا لفرعون، ويبرّر الكرماني الاختلاف بين هذين التّركيبين بترتيب السّور في المصحف، فيرى أن إظهار المفعول وقع في سورة الأعراف لأنّها الأولى بالنسبة إلى سورة الشعراء التي حذف منها [3] .

ومن الأمثلة كذلك:

قوله تعالى:(**فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ**) (هود: من الآية81) .

وقوله تعالى:(**فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ**) (الحجر: من الآية65) .

---

(1) ينظر الكرماني:المصدر السابق، ص 147 . وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص 161، 162.

(2) ابن جماعة:المصدر نفسه، ص 161 .

(3) ينظر : الكرماني : البرهان ، ص 81 .

فالآية الأولى تضمنّت استثناءً وهو: (إلاّ امرأتك)، بينما لا نجد ذلك في الآية الثانية، والسّبب أنّ هـــذا الاستثناء في سورة الحجر قد تقدّم ذكره[1] في قوله تعالى:(قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ () إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ () إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ) (الحجر:58، 59، 60)، فالاستثناء المذكور هنا وهو: (إلا امرأته) قرينة دلّت على حذفه من بعد في قوله: (فاسر بأهلك بقطع من الليل) .

ومن أمثلة الاسم الضمير:

- الضمير المنفصل (هو):

في قوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ**) (آل عمران: من الآية51) .

وقوله تعالى: (**وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ**) (مريم: من الآية36) .

وقوله تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ**) (الزخرف: من الآية64). وكلّها وردت في قصة مريم – عليها السلام- . فنلاحظ أنّ الضّمير المنفصل (هو) ذُكر في آية الزّخرف دون غيرها، وذلك لأنّ ما في هذه السورة قد وقع « ابتداء كلام منه فحسُن التّأكيد بقوله (هو) ليصير المبتدأ مقصورا على الخبر المذكور في الآية وهو إثبات الرّبوبيّة ونفي الأبوة »[2] ، ولم يكن كذلك في كلٍّ من سورتي آل عمران ومريم .

فما في آل عمران وقع بعد عشر آيات من القصة، أي بدءاً من قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران:42)، إلى قوله تعـــالى: (وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) (آل عمران : 5).

وما في سورة مريم كان بعد قوله: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً) (مريم:16)، إلى قوله تعالى: (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (مريم:35)، والمعنى: أن كلتا السّورتين استوفت ذكر قصّة عيسى –عليه السلام–، وأنّ توحيد الرّبّ تعالى قد تقدّم فيهما ممّا أغنى عن التّأكيد، بخلاف ما في الزخرف إذ لم يتقدّم مثل ذلك، فناسب توكيد انفراده بالرّبوبيّة وحده[3].

---

(1) ينظر:الكرماني المصدر **السابق**،ص 100 . وينظر: ابن جماعة : كشف المعاني ،ص 123 .

(2) الكرماني:المصدر **نفسه** ، ص 47.

(3) ينظر:الكرماني: المصدر نفسه، ص 47 . وينظر ابن جماعة: كشف المعاني، ص 78 .

ويعلّل ابن الزبير الثقفي سبب ذلك الاختلاف بأنّ سورة الزخرف قد تقدّم فيها ذكر آلهة الكفّار في قوله تعالى على لسانهم: (أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) (الزخرف: من الآية58)، ويعنون به المسيح، فناسبه ما أعقب به من قوله تعالى حاكيا عن المسيح- عليه السلام-: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) (الزخرف: من الآية64)، فكأنّه قد قيل: إنّ الله هو ربّي وربّكم وهؤلاء غيره، فأحرز الضّمير (هو) هذا المعنى، أمّا آيتا آل عمران ومريم فلم يرد في سورتيهما ما ورد في سورة الزخرف فلم يحتج إلى الضّمير[1]، فالسّياق-كما نرى- وحده الكفيل بتعليل سبب الاختلاف.

و من ذلك :

قوله تعالى: (**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**) (الحج:62) .

وقوله تعالى :(**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**) (لقمان:30) .

يقول الكرماني: « لمّا تقدّم في سورة الحجّ ذكر الله سبحانه وذكر الشّيطان أكدّهما، فإنّه خبر وقع بين خبرين، و لم يتقدّم في لقمان ذكر الشيطان، فأكّد ذكر الله تعالى وأهمل ذكر الشيطان »[2].

فقد ذكر الشيطان في قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ () لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (الحج: 52 ، 53).

ويعلّق أبو يحي زكريا على اختلاف هاتين الآيتين، فيرى أن ذلك كان لموافقة كلّ منهما ما قبله ومـــا بعده، فما في آية الحجّ تقدّمه تأكيدات بعضها بـــ (أن) وبعضها باللّام، وبعضها بهما معًا بخلاف ما في سورة لقمان، ولهذا وردت الآية الثّانية من دونها [3]، وهكذا كان سياق كلّ سورة هو الّذي علّل حذف الضّمير أو ذكره في الآيتين.

-الضمير المنفصل (هم):

في قوله تعالى:(**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**) (النحل: من الآية72) .

وقوله تعالى:(**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ**) (العنكبوت: من الآية67) .

---

(1) ينظر: ابن الزبير الثقفي:ملاك التأويل،ج 1، ص 308 ،309 .

(2) الكرماني : البرهان ، ص 134 .

(3) ينظر:أبو يحي زكريا : فتح الرحمن، ص 386 ، 387 . وينظر: بن جماعة: كشف المعاني ، ص 149 .

نلاحظ أن التركيب الأول ذُكر فيه الضّمير (هم) والتركيب الثاني حُذف منه، وذلك لأنّ ما في سورة النحل اتّصل بقوله تعالى في الآية نفسهـــا: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) (النحل: من الآية 72)، حيث إنّ الآية فيها التفات من المخاطَب إلى الغائب، وحتّى لا يلتبس هذا بـــذاك، ولا تلتبس التّاء بالياء كان التّقييد بالضّمير (هم)، بخلاف ما في سورة العنكبوت فإنّه اتّصل بآيات استمرّت على الغيبة فيها كلّها فلم يكن هناك داعٍ إلى التّقييد [1].

من خلال مـــا سبق من أمثلة عن حذف الكلمة نستطيع القول: إنّ قرائن السياق هي التي تعلّل حذف الكلمة أو ذكرها في التراكيب المتشابهة، وهذه القرائن قد تكون آية أو آيات تقدّمت التركيب أو تأخّرت عنه، وقد تكون الآية نفسُها سياقا لما ورد فيها من حذف أو ذكر، وقد يكون ترتيب السّور هو القرينة المعتمدة.

ج- حذف شبه جملة (الجار والمجرور):

قد يكون الاسم المجرور المحذوف مع الجارّ ظاهرا، وقد يكون مضمرا، فمن أمثلة الاسم الظاهر:

قوله تعالى: (**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ**) (الإسراء: من الآية41).

وقوله تعالى: (**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ**) (الإسراء: من الآية89) .

فالأول حُذف منه شبه الجملة من الجار و المجرور وهو (للنّاس)، بينما ذُكر في الثاني، وسبب الاختلاف بينهما -كما يراه الكرماني- أنّ الحذف برّره تقدّم ذكر (النّاس) في السورة، أمّا الآيـــة الثانية فسبب ورود شبه الجملة (للنّاس) فيها هو عدم ذكرهم قبلها [2].

وقد يكون ترتيب السّور هو ما يعلّل حذف الجارّ والمجرور أو ذكره كما في:

قوله تعالى : (**فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) (الأنعام:5) .

وقوله تعالى: (**فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) (الشعراء:6) .

فالآية الأولى قيّد فيها التّكذيب بقوله: (بالحق لما جاءهم) ولم يقيّد في آية الشعراء، وهذا لدلالة الأولى عليه لأنّ سورة الأنعام متقدّمة [3]، فاكتفى بالتّقييد الوارد فيها ولم يعد ذكره.

ومن أمثلة الاسم المجرور المضمر وهو كثير :

---

(1) ينظر الكرماني: البرهان،ص 114 .

(2) ينظر :الكرماني: المصدر نفسه ،ص 116 .

(3) ينظر :الكرماني: المصدر نفسه ،ص 59 .

-حذف الجار والمجرور (منكم):

في قوله تعالى: (**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ**) (البقرة: من الآية184) .

وقوله تعالى: (**وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ**) (البقرة: من الآية185) .

وقوله تعالى: (**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ**) (البقرة: من الآية196) .

فالجار والمجرور (منكم) ورد ذكرهما في التركيبين الأول والثالث وحُذِفا من التركيب الثاني، و قرينة هذا الحذف هو ما جاء في سياق الآية نفسها، فقد تقدّم فيها قوله تعالى: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) (البقرة: من الآية185)، فلمّا ذكر الجارّ والمجرور هنا اكتفى بذلك عن إعادته من بعد [1].

-حذف الجار والمجرور (منه):

في قوله تعالى: (**فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ**) (النساء: من الآية43) .

وقوله تعالى: (**فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ**) (المائدة: من الآية6) .

وقرينة الحذف والذّكر في هذين التركيبين هو **ما تضّمنه سياق كلّ** آية ففي سورة النّساء ورد ذكر « بعض أحكام الوضوء و التيمم فحسُن الحذف، والمذكور في المائدة جميع أحكامهما فحسن الإثبات والبيان » [2].

أما ابن الزبير الثقفي فيرى أن زيادة (منه) في آية المائدة زيادةُ بيان، وأنّ هذه السورة اختصّت بذلك لتأخّرها في التّرتيب الثّابت عليه في المصحف، والبيان يتأخّر عمّا هو بيان له [3]، أي أنّ ترتيب السّور في المصحف هو القرينة التي علّلت الاختلاف بين التركيبين السّابقين.

-حذف الجار والمجرور (فيه):

في قوله تعالى: (**وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) (الروم: من الآية46) .

وقوله تعالى: (**لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) (الجاثـــية: من الآية12) .

---

(1) ينظر : الكرماني : المصدر السابق ، ص 39 .

(2) الكرماني: المصدر نفسه، ص 51، 52 .

(3) ينظر: ابن الزبير الثقفي : ملاك التأويل ، ج1 ، ص 344 .

فقرينة الحذف في الآية الأولى هي تقدّم ذكر الرّياح، وقرينة الذّكر في الثّانية هي تقدّم ذكر البحر في الآية [1]، أي أنّ تقدير الكلام في سورة الرّوم: لتجري الفلك بالرّياح بأمر الله تعالى، وتقديره في سورة الجاثية: لتجري الفلك في البحر بأمر الله .

من خلال ما تقدّم عن الجار والمجرور المضمر نلاحظ أن ما ورد في كلّ آية كان كفيلا بتعليل ما فيها من حذف أو ذكر .

ومن الأمثلة التي تكون فيها الآيات المتقدّمة أو المتأخّرة في كلّ سورة سياقا يعلّل الحذف أو الذكر في المتشابهات :

-حذف الجار والمجرور (لكم):

في قوله تعالى: (**قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ**) (الأنعام: من الآية50) .

وقوله تعالى:(**وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ**)(هود: من الآية31).

فنلاحظ أن الجار والمجرور ذُكرا مرّتين في آية الأنعام، بينما لم يذكرا في آية هود إلا مرّة واحدة، وذلك لأنّه قد تقدّم ذكرهما في هذه السّورة أربع مرّات[2]في الآيات: (إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) (هود: من الآية25)، (وَمَا نَرَى لَكُمْ) (هود: من الآية27)، (وَلا أَقُولُ لَكُمْ) (هود: من الآية31)، (أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ) (هود: من الآية34)، فكان ذلك سبب حذفها في التركيب السّابق.

-حذف الجار والمجرور (له):

في قوله تعالى:(**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ**) (العنكبوت: من الآية62).

وقوله تعالى:(**وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ**) (القصص: من الآية82).

يرى الكرماني أن تقدير الكلام في سورة العنكبوت هو: يبسط الرزق لمن يشاء من عباده أحيانا ويقدر له أحيانا، أي أنّ الرزق مرّة يتّسع وأخرى يضيق، وذلك لأنّه اتّصل بقوله تعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا) (العنكبوت: من الآية60)، وفيه عموم لذلك فصّله بقوله: (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له)، والضّمير في شبه الجملة (له) يعود إلى (من) في هذه الآية [3]، أمّا آية القصص -كما يقول ابن جماعة -: " فتقدّمها قصّة قارون،

---

(1) ينظر:الكرماني: البرهان،ص 153، وينظر: ابن الزبير الثقفي: المصدر نفسه ،ج 2 ، ص 940 . وينظر: ابن جماعة:كشف المعاني،ص 165.

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص 64.

(3) ينظر:الكرماني: المصدر نفسه، ص 149 ، 150 .

فنـــاسب الحال الثاني؛ أنّه يبسط الرّزق لمن يشاء مطلقا لا لكرامته كقارون، ويقبضه عمّن يشاء لا لهوانه كالأنبياء الفقراء منهم » [1].

د – حذف جملة:

قد تكون الجملة المحذوفة فعلية أو اسمية.

– حذف جملة فعلية:

كما في قوله تعالى:(**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى**) (الإسراء: من الآية94).

وقوله تعالى: (**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ**) (الكهف: من الآية55) .

نلاحظ أنّ جملة (ويستغفروا ربّهم) المذكورة في سورة الكهف حُذفت في سورة الإسراء، وبالرجوع إلى سياق كلّ آية نجد أن التّركيب الأوّل اتّصل بقوله تعالى: (**أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً**) (الإسراء: من الآية94)، أمّا التركيب الآخر فاتّصل بقوله تعالى: (**إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً**) (الكهف: من الآية55)، فكلتا الآيتين تضمّنت مانعًا من الإيمان بمحمد – صلى الله عليه وسلم– ، واختلاف المانعين هو الذي أدّى إلى الحذف في السورة الأولى و الذكر في السورة الثانية [2].

ومن ذلك أيضا :

قـــوله تعالى:(**فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**) (النمل: من الآية10) .

وقوله تعالى:(**فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ**) (القصص: من الآية31) .

فقد اكتفى في الآية الأولى بقوله: (لا تخف) ولم يذكر جملة (أقبل) التي ذكرها في الآية الثانية، ويعلّق الكرماني على هذا قائلا: « خُصّت هذه السورة [النمل] بقوله: (لا تخف) لأنّه بُني على ذكر الخوف كلامٌ يليق به وهو قوله: (**إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**)(النمل: من الآية10)، وفي القصص اقتصر على قوله: (لا تخف) ولم يُبن عليه كلام، فزيد قبله (أقبل) ليكون في مقابلة (مدبرا)، أي أقبل آمنا غير مدبر ولا تخف»[3]، فقوله: (إنّي لا يخاف لدّي المرسلون) هو القرينة

---

(1) ابن جماعة:كشف المعاني، ص163.

(2) ينظر : الكرماني: البرهان،ص 118.

(3) الكرماني: المصدر نفسه ،ص 142.

التي علّلت سبب الحذف ليكون التّركيز موجّها على قوله: (لا تخف)في الآية الأولى، بينما كان التّركيز في الآية الثانية على قوله: (مدبرًا) لذلك ذكر معه جملة (أقبل).

ومن الأمثلة كذلك:

قوله تعالى:(**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً**) (التغابن: من الآية9).

وقوله تعالى:(**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً**) (الطلاق: من الآية11).

نلاحظ أن جملة جواب الشرط (يكفّر عنه سيئاته) المذكورة في الآية الأولى لم تُذكر في الآية الثانـــية.

إنّ ما يعلّل سبب الذّكر في سورة التغابن هو ما ورد في سياق الآيات الواقعة قبل هذه الآية[1] وهو قوله تعالى: (**ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** () **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**) (التغابن: 6، 7)، فهاتـــان الآيتان تضمّنتا إنكار الكفّار لهداية الرّسل وإنكارَهم للبعث، وكلّها من السّيئات، لذلك ذكر في الآية قوله: (يكفر عنه سيئاته) بينما، لم يأتِ ذكر هذه السيئات في سورة الطلاق فجاء في كل سورة بما يوافقها [2].

-حذف جملة اسمية:

في قوله تعالى:(**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) (البقرة: من الآية173).

و قوله تعالى:(**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) (الأنعام: من الآية145) .

و قوله تعالى:(**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) (النحل: من الآية115) .

نلاحظ أن جملة (فلا إثم عليه) ذُكرت في سورة البقرة، بينما لم تذكر في كلّ من سورتي الأنعام و النّحل،وهذا يعلّله الكرماني بقوله: « لمّا قال في الموضع الأول: (فلا إثم عليه) صريحًا كان نفي الإثم في غيره تضمينا لأن قوله: (غفور رحيم) يدلّ على أنّه لا إثم عليه »[3]. والذي يبدو لنا من خلال هذا الكلام أنّ الكرماني، إنّما جعل ترتيب السّور وما ورد في سياق كلّ آية قرينة علّل بها سبب الحذف والذّكر معا.

---

(1) ينظر:الكرماني:المصدر السابق ، ص 185.

(2) ينظر: الكرماني : المصدر نفسه ، ص185 . وينظر : ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل، ج 2 ، ص 1084 .

(3) الكرماني: المصدر نفسه ، ص 47 .

ومن الأمثلة كذلك:

قوله تعالى:(**كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ**) (المرسلات:18) .

وقوله تعالى:(**إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ**) (الصافات:34) .

ففي الآية الأولى ورد ذكر النّاسخ مع اسمه وهو (إنّا) وأصله (إنّنا)، بينما لم يذكرا في الآية الثانية.

وسبب هذا الاختلاف أنّ آية الصافات فُصل فيها بين الضّمير (إنّا) وبين (كذلك) بقوله تعالى: (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) (الصافات:33)، لذلك ذُكر (إنّا) في الآية و لم يذكر في سورة المرسلات لاتّصال الآية فيها بما قبلها [1] وهو قوله تعالى: (ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ) (المرسلات:17).

ومن ذلك :

قوله تعالى:(**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) (البقرة:136).

وقوله تعالى:(**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) (آل عمران:84) .

نلاحظ أن جملة (وما أوتي) ذُكرت في سورة البقرة، لكنها في سورة آل عمران محذوفة، وذلك -كما يقول الكرماني- لأنّه تقدّم فيها ذكر الأنبياء [2] في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ) (آل عمران: من الآية81)، ولمّا ذُكر ههنا (الإيتاء) أغنى ذلك عن إعادته، فكان قرينة دلّت على الحذف.

وخلاصة القول: إنّ قرائن السّياق اللّغوي التي تعلّل الحذف والذّكر في المتشابهات لها أثر واضح في الوقوف على أسرار الاختلاف في بُنى التراكيب المتشابهة، وإنّ هذه القرائن تتنوّع، فمنها ما يكون سياق التّركيب ذاته، ومنها ما يكون آيات مجاورة، ومنها ترتيب السور.

2- سياق الحال (المقـــام):

تتعدّد عناصر المقام في مبحث الحذف والذكر فنجد منها:

أ- **المخاطَب**: من ذلك :

---

(1) ينظر الكرماني:المصدر السابق ، ص 162.

(2) ينظر الكرماني:المصدر نفسه، ص35.

قوله تعالى:(**وسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ**) (الزمر: من الآية71) .

وقوله تعالى:(**وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ**) (الزمر: من الآية73) .

فنلاحظ أنّ الآية الأولى وردت فيها جملة (حتّى إذا جاؤوها فتّحت أبوابها) من دون واو، بينما وردت في الآية التي بعدها بذكر الواو وهي واو الحال،أي: جاؤوها وقد فتّحت أبوابها[1]، وبالرّجوع إلى ما جاء في كلّ آية نجد أنّ الخطاب في الأولى هو عن الكفار، وهم يأتون جهنّم وبابها مغلق حتّى إذا وقفوا عنده فُتح في وجوههم فجأة ليكون ذلك أشّد عليهم، بينما الخطاب في الآية التالية لها هو عن المؤمنين المتّقين الذين يأتون الجنّة وقد فُتحت أبوابها لهم قبل مجيئهم إليها استعدادا لاستقبالهم، فيكون ذلك إكرامًا لهم و إدخالاً للسّرور على قلوبهم[2].

فاختلاف المخاطَبين (الذين كان الخطاب عنهم)-كما رأينا- كان له الأثر في اختلاف بنية التركيبين في كلّ آية؛ بأن ذُكر الحرف في واحد منهما وحُذف في الآخر.

ومن ذلك :

قوله تعالى:(**إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ**) (غافر: من الآية59).

وقوله تعالى:(**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ**) (طـــه: من الآية15).

فالأول دخلت معه لام التّوكيد بينما لم يكن الثاني كذلك،ومعلوم أن لام التوكيد إذا زيدت في الخبر فإنها تفيد تأكيده إذا كان المخاطَب به شاكًّا فيه، ولّما كان المخاطَبون في سورة (غافر) همُ الكفار أكّد خبر قدوم السّاعة [3]، أمّا في سورة (طه) فلم يكن الخطاب مخصّصا أو موجّها لهم .

وقد يؤدي اختلاف المخاطَبين إلى حذف كلمة في تركيب وذكرها في تركيب مشابه:

ففي قوله تعالى: (**فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**) (التوبة:55) .

وقوله تعالى: (**وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**) (التوبة:85) .

---

(1) ينظر: الكرماني:المصدر السابق،ص 168 .

(2) ينظر: ابن جماعة كشف المعاني ، ص 176 ، 177 . وينظر: أو يحي زكريا: فتح الرحمن، ص498 ، 499 .

(3) ينظر:الكرماني: البرهان ، ص 168 ، 169 .

كان إثبات كلمة (الحياة) في الآية الأولى في حين لم تكن مثبتة في الآية الثّانية، ويرى الكرماني أنّ كلمة (الدنيا) ههنا هي صفة لـــ (الحياة) في كلتا الآيتين، أثبتها في الأولى وحذفها فيما بعد، لأن الخطاب في الأول كان عن اليهود، بينما الخطاب في الثّاني كان عن المنافقين[1]، ويرى ابن جماعة أن الآية الأولى خطاب عن قوم أحياء، أمّا الآية الثانية فهي عن قوم أموات [2].

ومن ذلك :

قوله تعالى :(**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**) (الحجر:47).

وقوله تعالى :(**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَار**) (الأعراف: من الآية43).

فنجد أنّ كلمة (إخوانا) الواقعة حالاً مذكورة في الآية الأولى بخلاف الثانية، وذلك لأن المعنيّين بالخطاب في سورة (الحجر) هم أصحاب الرّسول – صلى الله عليه وسلم- ، أمّا المعنيّون به في سورة الأعراف فهم المؤمنون عموما [3].

وقد يكون المحذوف أو المذكور في تركيبين متشابهين هو شبه جملة من جارّ ومجرور كما في :

قوله تعالى:(**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ**) (العنكبوت:22) .

وقوله تعالى:(**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ**) (الشورى:31) .

حيث ذكر الجار والمجرور (في السماء) في آية العنكبوت بينما حذف في آية الشورى، وسبب ذلك هو اختلاف المخاطَبين في كلّ سورة، فالخطاب في سورة العنكبوت كان لنمرود حين صعد الجو موهمًا أنّه يحاول بلوغ السّماء فجاء سياق الآية: (في الأرض ولا في السماء)، أي : من في الأرض من الجنّ والإنس، وحتّى من في السماء من الملائكة، وكلّ أولئك لا يُعجزون الله تعالى، أمّا الخطاب في سورة الشّورى فهو للمؤمنين[4]، يدلّ عليه قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) (الشورى: من الآية30).

ومن الأمثلة كذلك:

قوله تعالى(**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**) (سبأ: من الآية36).

---

(1) ينظر:ابن جماعة: كشف المعاني، ص 114، 115 .

(2) ينظر:الكرماني: البرهان، ص 89.

(3) ينظر:الكرماني:المصدر نفسه ، ص 108.

(4) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 148. وينظر:ابن جماعة:كشف المعاني ، ص 162.

وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) (سبأ: من الآية39) .

يقول الكرماني: « لم يذكر مع الأوّل (من عباده) لأنّ المراد بهم الكفّار، وذكره مع الثاني لأنّهم المؤمنون »[1].

فالآية الأولى هي جواب للكفار حين قال الله تعالى على لسانهم: (نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) (سبأ:35)، أما الآية الثانية فيدلّ على كونها للمؤمنين قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ) (سبأ: من الآية37) .

ومن ذلك :

قوله تعالى: (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ) (المجادلة: من الآية2) .

وقوله تعالى:(وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ) (المجادلة:من الآية3).

نلاحظ أن شبه الجملة (منكم) المذكورة في الآية الثانية من سورة المجادلة قد حذفت في الآية الثالثة منها، وذلك « لأن الأول خطاب للعرب، وكان طلاقهم في الجاهلية الظّهار فقيّده بقوله: (منكم)، وبقوله:(وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً) (المجادلة: من الآية2)، ثم بيّن أحكام الظّهار للنّاس عامّة فعطف عليه فقال: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ)، فجاء في كل آية ما اقتضاه معناه »[2].

ومن التراكيب التي اختلفت بنياتها لاختلاف المخاطَبين:

قوله تعالى:(وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (البقرة: من الآية57) .

وقوله تعالى:(وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (الأعراف: من الآية160) .

وقوله تعالى: (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (آل عمران: من الآية117) .

فقد حذف الناسخ مع اسمه (كانوا) من التركيب الثالث، بينما هما مذكوران في الأول والثاني، وذلك لأن ما في سورتي البقرة والأعراف هو« إخبار عن قوم ماتوا و انقرضوا »[3]، وهؤلاء هم قوم بني إسرائيل الذين كان الخطاب عنهم، لذلك أخبر عنهم بلفظ (كانوا).

---

(1) الكرماني: المصدر السابق،ص 158.

(2) الكرماني: المصدر نفسه ،ص 182.

(3) الكرماني: المصدر نفسه، ص 28.

من خلال ما تقدّم عن سياق الحال المتمثّل في عنصر المخاطَب، يمكن القول: إنّ التراكيب المتشابهة تختلف بنياتها باختلاف المخاطبين، وسواء في ذلك أكان الخطاب موجّها إليهم أم كان حديثا عنهم من غير خطاب مباشر لهم.

ب- أسباب النزول:

في قوله تعالى:(**وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**) (النحل: من الآية127) .

وقوله تعالى:(**وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**) (النمل:70).

نلاحظ إثبات نون (تكن) في سورة النمل، بينما حذفت في سورة النحل، وقد وقع مثل هذا الحذف في عدة مواضع من القرآن الكريم(*).

ويرجع تخصيص سورة النحل بالحذف دون سورة النمل - فيما يذهب إليه الكرماني - إلى أنّ « الآية نزلت تسلية للنبي - صلى الله عليه وسلم- حين قُتل عمّه حمزة ومثّل به فقال - عليه الصلاة والسلام-: (لأفعلن بهم ولأصنعنّ)، فأنزل الله: (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) () وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (النحل:126، 127)، فبالغ في الحذف ليكون ذلك مبالغة في التّسلّي، وجاء في النّمل على القياس لأنّ الحزن هنا دون الحزن هناك »(1)، أي أن سياق الحال في الآيتين مختلف.

و في :

قوله تعالى : (**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً**) (الفتح: من الآية11) .

وقوله تعالى:(**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ**) (المائدة: من الآية17) .

ذكر شبه الجملة (لكم) في سورة الفتح، بينما حذف في سورة المائدة، وذلك لأنّ الآية الأولى نزلت في قوم بأعيانهم وهم المخلّفون، وقد سبق ذكرهم في الآية ذاتها، أمّا ما في المائدة فهو عام(2). ويعلّل ابن الزبير هذا بما ذكره من أنّ سورة المائدة نزلت في النصارى ، أمّا سورة الفتح ففي المتخلّفين عن غزوة الحديبية (3).

ومن التراكيب التي اختلفت مبنىً لاختلاف سبب النزول:

(*) وذلك في: (النساء 40)، و (هود 17 و 109)، و(مريم 9)، و(لقمان 16)، و(غافر 50).

(1) الكرماني:البرهان، ص 115 .

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 176 . وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص 188 .

(3) ينظر: ابن الزبير الثقفي: ملاك التأويل ،ج1، ص 381 383 .

قوله تعالى: (**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**) (آل عمران:126) .

وقوله تعالى : (**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) (الأنفال:10) .

حيث حذف في الآية الأولى الناسخ مع اسمه (إن الله)، بينما ذكرا في الآية الثانية، وسبب ذلك أنّ ما في سورة الأنفال قد نزل في قصة بدر وهي سابقة على ما في سورة آل عمران، فإنّها نزلت في قصة أحد، وأخبر هناك بأن الله عزيز حكيم، وجعله في هذه صفة لأن الخبر قد سبق [1].

وهكذا، وكما تختلف المتشابهات لاختلاف المخاطَبين، فإنها كذلك إذا اختلفت أسباب النزول باعتبارها قرائن تؤثّر السياق .

ج- الموقف:

إن التّركيز على الهيئة التي يكون عليها المخاطِب أو المخاطَب، وما يكون من حالهما في أثناء توجيه الخطاب من الأمور التي تعين على معرفة سرّ اختلاف المتشابهات، وهو يدخل ضمن قرائن الحال كما ذكرنا .

ومن أمثلة التراكيب التي اختلفت بنياتها لاختلاف المواقف :

قوله تعالى:(**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**) (الشورى:43) .

وقوله تعالى: (**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**) (لقمان: من الآية17) .

فكلتا الآيتين تحثّ على الصّبر ويكاد يكون التركيب واحدا في قوله تعالى: (إنّ ذلك لمن عزم الأمور)، غير أنّ هذا جاء بذكر اللّام المقترنة بالخبر في سورة الشورى، أمّا في سورة لقمان فقد وقع خلاف ذلك، وكما هو معلوم فإنّ الصّبر نوعان: « صبر على مكروه ينال الإنسان ظلمًا كمن قُتل بعض أعزّته، وصبرٌ على مكروه ينال الإنسان ليس بظلم كمن مات بعض أعزّته، فالصبر على الأول أشدّ والعزم عليه أوكد » [2] لذلك حسُن دخول اللاّم فيها، بينما الصّبر في سورة لقمان هو من النّوع الثاني لذلك حذفت اللّام منها. فنحن - إذن- أمام موقفين مختلفين للصبر، وهذا الاختلاف هو الذي أثّر في بنية كلّ تركيب.

ومن ذلك أيضا :

---

(1) ينظر: الكرماني: البرهان ، ص 48 ،49 .

(2) الكرماني:المصدر نفسه ، ص 172. و ينظر: ابن جماعة:كشف المعاني ، ص 183.

قوله تعالى:(وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) (الزخرف:14) .

و قوله تعالى : (إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ) (الشعراء: من الآية50) .

فنرى أن آية الزخرف وردت بذكر اللّام، بينما وردت آية الشعراء بحذفها، ويعلل الكرماني ذلك بقوله: « إنّ ما في هذه السورة [الزخرف] عام لمن ركب سفينة أو دابة، وقيل: معناه إلى ربّنا لمنقلبون على مركب آخر وهو الجنازة، فحسُن إدخال اللّام على الخبر للعموم، وما في الشعراء كلام السّحرة حين آمنوا و لم يكن فيه عموم »[1].

ونفهم من هذا الكلام أنّ اختلاف التركيبين من حيث الحذف والذكر، سببه اختلاف الموقف في كلّ منهما، إذ إنّ عمومه في الأول هو الذي استدعى الحذف فيه.

وفي :

قوله تعالى في قصة إبراهيم – عليه السلام –: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ) (الشعراء:70) .

وقوله تعالى: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ) (الصافات:85) .

نلاحظ أن الاستفهام في كلتا الآيتين واحد، غير أنّه في الآية الأولى ورد بـــ (ما)، وفي الآية الثانية ورد بـــ(ماذا)، وهذا الاختلاف له سببه، فـــ (ما) –كما يذكر الكرماني– هي لمجرّد الاستفهام، أمّا (ماذا) ففيها مبالغة تضمّنت معنى التوبيخ [2]، فالموقف في الأول هو مجرّد استفهام من – إبراهيم عليه السلام – عن حقيقة المعبود الذي يعبده قومه لذلك كان جوابهم: (نَعْبُدُ أَصْنَاماً) (الشعراء: من الآية71)، بينما الموقف في سورة الصافات لم يكن مجرّد استفهام وحسب، بل إنّ فيه توبيخا لهم، لأنّ إبراهيم باستفهامه هنا يعلم حقيقة معبودهم، لذلك زاد في توبيخهم بالإنكار عليهم فقال:(أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ () فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (الصافات:86 ،87) .

ومن اختلاف التراكيب حذفا وذكرا لاختلاف الموقف:

قوله تعالى في قصة موسى – عليه السلام– على لسان الخضر: (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) (الكهف: من الآية72) .

وقوله تعالى: (أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً) (الكهف: من الآية75) .

فالآية الأولى حُذف فيها شبه الجملة (لك)، بينما وردت الآية التي بعدها بذكره، ويرجع هذا الاختلاف، بينهما إلى أنّ إنكار موسى – عليه السلام– في المرّة الثانية كان أشدّ وأكثر[3].

---

(1) الكرماني: المصدر **السابق**،ص173، 174 .

(2) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه ، ص 140، 141 . وينظر: ابن جماعة: كشف المعاني، ص157.

(3) ينظر: الكرماني: المصدر نفسه، ص 122.

ويقترب ابن جماعة من هذا المعنى حين يقول معلّقا على هذا الاختلاف: « إنّ الخضر قصد بالأولى تذكير موسى – عليه السلام– بما شرط عليه فخاطبه بلطف وأدب معه، وفي الثّانية كرّر موسى الإنكار فشدّد الخضر عليه، وأكّد القول بقوله: (لك) لأن كاف الخطاب أبلغ في التنبيه »[1]، أي أنّ موقف الإنكار في الأوّل أخفّ شدّة وأقلّ منه فيما بعد، وهذا الاختلاف في الموقفين هو الذي استدعى الحذف في الآية الأولى والذّكر في الآية التالية لها.

ومن هذا القبيل :

ما ورد في قصة يوسف –عليه السلام– في قوله تعالى : (**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**) (يوسف:22) .

وقصة موسى –عليه السلام– في قوله تعالى : (**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**) (القصص:14) .

فالتركيبان يختلفان في جملة (استوى)، حيث حُذفت في الأول بينما ذُكرت في الثاني، وذلك لأنّ يوسف – عليه السلام– أوحي إليه في صباه وهو في البئر، بينما أوحي إلى موسى –عليه السلام– بعد بلوغه أربعين سنة، ذلك أنّ الاستواء على قول الأكثر: هو بلوغ الأربعين لأنّها كمال العقل والنّظر، والخلاف في الأشدّ، والاستواء مشهور و لم يقل أحد: إنّه دون البلوغ[2].

فزمان الصّبا غير زمان الكهولة، وما كان عليه يوسف غيرُ ما كان عليه موسى، ولمّا كان هذا الاختلاف واردًا بينهما حصل مَعَه الاختلاف في التركيبين؛ بأن حذف في أحدهما ما ذكر في الآخر.

وخلاصة القول: إن اختلاف المواقف في التّراكيب المتشابهة له الأثر الواضح في تعليل سبب الاختلاف فيها، حذفا أو ذكرًا، أو كليهما معًا.

---

(1) ابن جماعة: كشف المعاني، ص 138.

(2) ينظر: الكرماني: البرهان، ص 101، و 144. وينظر: ابن جماعة: المصدر **نفسه** ، ص 125 .

الخـــاتـــمـــة:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبرز النتائج التي يمكن أن نسجلها في خاتمة هذا البحث ما يأتي:

- إنّ السّياق كفكرة تمتدّ جذوره في أعماق التّراث العربيّ اللّغويّ، فقد عرفه القدماء من علماء اللّغة والنّحو والبلاغة والتفسير، وهم وإن لم يشيروا إليه بهذا المصطلح فإنّهم كانوا على وعي عميق به وبأهمّيته في فهم النّصوص .

- تتجلّى عناية اللّغويين بالسّياق من خلال حرصهم على أخذ اللّغة من سياقها الذي تُستعمل فيه، وذلك بانتقالهم بين البوادي، واهتمامهم بالمواقف والأحوال والمشاهد وأخذها بعين الاعتبار في التّفسير الدّلالي للنّص الذي يتضمّنها، وهو ما يظهر في العبارات والأمثال التي كانت تُطلق في ظرف معيّن، ثمّ تُذكر فيما بعد مورَّى عن مثلها في المعنى . وتظهر تلك العناية أيضا في كتب المعاجم، حيث لم يكن أصحابها يقطعون الصّلة بين الدّلالة الأصلية للكلمة والدّلالة السياقية، فهم يدوّنون المعنى الأوّل للكلمة ثمّ يفرّعونه بحسب سياقات استعمالاتها، وتعدّ ظاهرتا التّرادف والاشتراك من أبرز الظّواهر التي يتجلّى فيها أثر السياق في تحديد معاني الألفاظ .

- كان للنّحاة معرفة بالسّياق - بنوعيه — وببعض عناصره على شكل متفرّق، فقد ارتبط عملهم من البداية بالدّلالة والسّياق معًا وإن لم يصطلحوا عليه، ذلك أنّ اهتمامهم بالإعراب وبالتحليل النحوي للجملة وارتباط عناصرها ورتبة هذه العناصر وأهميتها دلاليا، كان الهدف منه هو الوصول إلى المعنى الذي تؤدّيه هذه الجملة، واستيضاح هذا المعنى يعتمد بالدّرجة الأولى على أمور مشتركة بين المتكلّم والمخاطب، كالموقف الذي تُساق فيه العبارات، وهيئة المتكلّم وحاله وحال المخاطَب ومكان وجودهما، والظّروف المحيطة باللّفظ من أدلّة خارجة عنه، ويرى النّحاة أنّ السياق اللّغوي يبرز أثره أيضا في حروف المعاني التي تكتسب معناها من خلال السّياق الذي ترد فيه إذ عرّفوا الحرف بأنّه ما دلّ على معنى في غيره .

- كان البلاغيّون أكثر وعيا بالسياق وتقديرًا له في تحليل النّصوص، حيث ركّزوا جلّ اهتمامهم عليه من خلال ما عُرف لديهم بالمقام الذي يُعدّ أحد الجوانب الثّلاثة للبلاغة وهي:الدّلالة والجمال والمقام، وقد أضحى المقام عمودها الّذي قامت عليه بعناصره المختلفة، واتخذت مقولة: " لكلّ مقام مقال" أهمية بالغة في هذا الشّأن ممّا حدا ببعض الباحثين المحدثين إلى جعل مفهوم المقام يقابل مصطلح سياق الحال، والمُلاحَظ على البلاغيّين أنّهم كانوا يوحّدون بين مصطلحي الحال والمقام، والاستعمال السياقيّ لهما يدلّ على ترادفهما عندهم، وقد تعزّز اهتمام البلاغيين بالسياق من خلال نظرية النظم.

- حقّق المفسّرون السّبق في الاهتمام بالسياق والاستعانة به وسيلة هامّة من وسائل الكشف عن دلالة الألفاظ وأسرارها في القرآن الكريم، فعملهم شمل جميع الاختصاصات اللّغوية والنّحوية والبلاغية، وتظهر حدود السّياق اللّغوي عندهم في تفسير دلالات الألفاظ من خلال المناسبة بين مضامين الآيات في السّورة أوالسّور بعد تحليلها نصّيا وفق الاعتبارات الدّاخلية أو النّصّية، ووفق الاعتبارات الخارجية ونعني بها المقام وقرائن الأحوال من أسباب النزول وعلاقات الخطاب بالمخاطِبين والمخاطَبين إلى غير ذلك من الظّروف المحيطة .

- لقد كان العلماء يصدرون عن منهج واضح في التعامل مع الآيات والتّراكيب القرآنية المتشابهة ، وهو اعتماد السّياق في تعليل ما بينها من فروق ؛ من حذف وذكر وتقديم وتأخير وتذكير وتأنيث وتعريف وتنكير و إفراد و تثنية وجمع ، وكذا اختلاف استعمال الحروف والألفاظ ، فهذه الوجوه في الاختلاف لا يمكن تعليلها بمعزل عن السياق وما يتضمّنه من قرائن تعين على الفهم .

- يشكّل سياق الحال بعناصره المختلفة أداة هامّة في تعليل الاختلاف بين التراكيب المتشابهة، فاختلاف المخاطَبين ومن جاء الخطاب على ألسنتهم وأسباب النزول وغيرها من الظّروف الخارجية، كلّها تساهم بقدر كبير في بيان الأسرار.

- إنّ اختلاف المتشابهات القرآنية في الألفاظ المستعمَلة يؤكّد انتفاء التّرادف في القرآن الكريم ، وأنّ كلّ كلمة منه تؤدّي معنى دقيقًا و محكمًا، وتُناسب سياقها الذي وضعت فيه، وهو أبرز وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن .

- تُعدّ المتشابهات القرآنية المظهر الأبرز الذي يتجلّى فيه المبدأ البلاغي المعروف :"لكلّ مقام مقال"، فالتّعبير القرآني لم يترك وجها من وجوه الاقتضاء إلا راعاه في سياق الآية والسورة وفي عموم القرآن.

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- القرآن الكريم برواية حفص .

1- الإبراهيمي خولة طالب: مبادئ اللسانيات ، د ط ، دار القصبة.الجزائر.2000م .

2- أبو زيد أحمد: النظم اللغوي بين المعتزلة والأشاعرة، ط1، دار الأمان . الرباط .1409 هـ - 1989 م .

3- ابن الأثير ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق :كامل محمد عويضة، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت .1419 هـ -1998 م .

4- ابن الأنباري أبو البركات عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد: الإنصاف في مسائل الخلاف بين الكوفيين و البصريين ، د ط، دار الفكر . دمشق . د ت .

5- الأنباري محمد بن القاسم: الأضداد،د ط، المكتبة العصرية.صيدا-بيروت. 1407 هـ -1987 م.

6- الأنصاري أبو يحي زكريا: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط2 ، مكتبة رحاب . الجزائر . 1408 هـ -1988 م .

- الأنصاري عبد الله بن هشام:

7- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،ط5 ، دار الجيل . بيروت.1979 م .

8- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك و محمد علي حمد الله،ط 6 ، دار الفكر . بيروت . 1985 م .

9- الباقلاني محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، ط1، دار و مكتبة الهلال . بيروت .1993م .

10- توامة عبد الجبار: التعدية والتضمين في الأفعال العربية، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.1994م.

11- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم: مقدمة في التفسير(ضمن الفتاوى)، تحقبق :حسين محمد مخلوف،ط1، دار المعرفة . بيروت .1386هـ .

12- الثعالبي أبو منصور: فقه اللغة وأسرار العربية، د ط، دار ومكتبة الحياة . بيروت. د ت.

13- الثقفي أحمد بن إبراهيم بن الزبير: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: تحقيق سعيد الفلاح، ط1، دار الغرب الإسلامي .بيروت. 1403هـ - 1983م .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

14- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان و التبيين، تحقيق: درويش جويدي، دط، المكتبة العصرية. صيدا – بيروت. 1423هـ- 2003م .

15- الجرجاني الشريف بن محمد بن علي: التعريفات،تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط2، دار الكتب العلمية.بيروت .1421هـ - 2003م .

- الجرجاني عبد القاهر:

16- أسرار البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف، ط1، دار الجيل.بيروت. 1411هـ - 1991م .

17- دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان مهنا، دط، مكتبة الإيمان. المنصورة-مصر. دت.

18- الجرجاني علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، ط1، المكتبة العصرية. صيدا- بيروت . 1427هـ 2006م .

19- ابن جعفر قدامة: نقد الشعر، تحقيق: كمال بشر، ط3، مكتبة الخانجي. القاهرة .1979م.

20- ابن جماعة بدر الدين: كشف المعاني في متشابه المثاني، تحقيق: محمد محمد داود، ط1، دار المنار القاهرة. 1418هـ- 1998م .

- حسان تمام:

21- الأصول، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة . 1982م .

22- اللغة العربية معناها ومبناها، دط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.1973م .

23- الحسين أبو البقاء محب الدين: اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر 1995م.

24- الخطابي حمد بن محمد: بيان إعجاز القران (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران)، تحقيق: محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، ط4 ، دار المعارف. مصر. دت .

25- ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، تحقيق عبد الله البستاني، ط4، مكتبة لبنان.1990م .

26- الداية فايز: علم الدلالة العربي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر .1988م.

27- دراز محمد عبد الله: النبأ العظيم(نظرات جديدة في القرآن)،ط8،دارالقلم. الكويت . 1416هـ - 1996 م .

28- الدينوري عبد الله بن مسلم بن قتيبة: أدب الكاتب، تحقيق: درويش جويدي، ط1، المكتبة العصرية. صيدا- بيروت .1429هـ - 2002م .

29- الذهبي محمد حسين: التفسير و المفسرون، ط2، دار الكتب الحديثة.1396هـ - 1976م .

30- الراجحي عبده: فقه اللغة في الكتب العربية، دط، دار النهضة .بيروت .د ت .

31- الرافعي مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دط، دار الكتاب العربي .بيروت. 1424هـ - 2004م .

32- ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية .بيروت .1422هـ - 2001م .

33- الرماني علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام،ط4،دار المعارف .مصر.دت.

34- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،دط، دار الجيل. بيروت .1408هـ - 1988م .

35- زموط عبد الستار حسين: من سمات التراكيب، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية. القاهرة. 1413هـ- 1992م .

36- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن محمد: مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحليم هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت.1420هـ - 2000م .

- السيوطي جلال الدين:

37- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية. بيروت. 1425هـ - 2004 م .

38- الأشباه و النظائر في النحو، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، دط، دمشق. 1407هـ- 1986م .

39- لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق: محمد تامر،ط2، مكتبة مصطفى الباز.المملكة العربية السعودية .1425هـ- 2004م .

40- المزهر في علوم اللغة و أنواعها، محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دط، دار الجيل ودار الفكر. بيروت . د ت .

41- شبلنر برند: علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة: محمد جاد الرب، دط، الدار الفنية للنشر والتوزيع. القاهرة .1991م .

42- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت.1424هـ- 2003م .

43- الصابوني محمد علي: التبيان في علوم القرآن، ط3، دار البعث. قسنطينة. 1407 هـ- 1986م .

44- ضيف شوقي: البلاغة تطور وتاريخ، ط6، دار المعارف . مصر .د ت .

45- ردة الله بن ردة بن ضيف الطلحي، دلالة السياق، ط1، جامعة أم القرى. مكة المكرمة. 1424هـ .

- العسكري أبو هلال:

46- جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد إبراهيم أبو الفضل و عبد المجيد قطامش، ط2، دار الفكر. بيروت. 1988م .

47- الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة ،ط2، دار الكتب العلمية .بيروت .1409هـ

48- الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط7،دار الأفاق الجديدة. بيروت. 1411 هـ- 1991م .

49- عشراتي سليمان: الخطاب القرآني، دط، ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر .1998م .

50- ابن فارس أحمد:الصاحبي في فقه اللغة العربية، تحقيق: أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية. بيروت . 1418هـ- 1997م .

51- فتحي فريد: المدخل إلى دراسة البلاغة، دط، مكتبة النهضة المصرية .القاهرة. 1982م .

52- الفيروزابادي مجد الدين محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، دط، المكتبة العلمية . بيروت .د ت .

53- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوخة، دط، دار الكتب الشرقية . تونس . 1966م .

54- القرطبي محمد بن أحمد: تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط2، دار الشعب. القاهرة. 1372هـ .

55- القزويني جلال الدين محمد: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: علي بو ملحم، دط، دار ومكتبة الهلال. بيروت . 2000م .

56- القنوجي صديق بن حسن: أبجد العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دط، دار الكتب العلمية. بيروت. 1978م .

57- الكرماني محمود بن حمزة بن نصر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية .بيروت .1406هـ- 1986م .

58- الكفوي أبو البقاء: الكليات، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، ط1، مؤسسة الرسالة .1412هـ- 1995م .

59- المبارك محمد: فقه اللغة و خصائص العربية ، ط5 ، دار الفكر . بيروت.1392هـ- 1972م .

60- المتنبي أبو الطيب: ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى سبيتي، دط، دار الكتب العلمية. بيروت.د ت .

61- المرادي الحسن بن القاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، دط، دار الكتب العلمية . بيروت .1413هـ- 1992م .

62- المراغي أحمد مصطفى: علوم البلاغة، ط2، دار إحياء التراث الإسلامي . مكة المكرمة .1992م .

63- مكرم عبد العال سالم: المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن،دط،جامعة الكويت. 1414هـ-1994م .

64- مومن أحمد: اللسانيات ، النشأة والتطور، ط5، ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر .2005م .

65- الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دط، دار المعرفة . بيروت .د ت .

66- النادري محمد أسعد: فقه اللغة مناهله و مسائله، ط1، المكتبة العصرية . صيدا- بيروت . 1425هـ- 2005م .

67- الهُنائي أبو الحسن: المنجّد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر و ضاحي عبد الباقي، ط2، عالم الكتب. القاهرة .1988م .

قائمة المعاجم:

68- الحموي ابن عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم الأدباء، ط1، دار الكتب العلمية . بيروت. 1411هـ- 1991م .

69- الزمخشري جارالله أبو القاسم محمد بن عمر: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دط، دار المعرفة . بيروت . د ت .

70- ابن فارس أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب و فاطمة أصلان، ط1، دار أحياء التراث العربي .بيروت . 1422هـ- 2002م .

71- مطلوب أحمد: معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، ط2، مكتبة لبنان .ناشرون. 1996م .

72- المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، مكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات، د ط، (مطبعة النجاح . الرباط . 2000م).

73- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير و آخرين، د ط، دار المعارف . القاهرة .د ت .

قائمة الرسائل الجامعية:

74- **بودوخة مسعود**: السياق و أثره في **الدلالة مع دراسة تطبيقية في تفسير الزمخشري**، رسالة **ماجستير، معهد** اللغة العربية وآدابها . جامعة **الجزائر. 1990م- 2000م .**

75- **توامة عبد الجبار**: القرائن المعنوية في **النحو العربي، رسالة دكتوراه دولة، جامعة** الجزائر . 1994 – 1995م ، ص53 .

فهرس الآيات القرآنية:

سورة البقرة

الآية	رقمها	الصفحة
(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ)	23	98
(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ)	38	56
(يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا)	40	99
(وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا)	57	114
(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ)	58	99
(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً)	59	70
(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ)	60	68
(وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)	61	62
(قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى)	120	95
(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا)	136	11-54
(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ)	158	43
(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)	173	110-91-74
(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً)	184	107
(وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً)	185	107-28- 27
(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا)	187	69
(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً)	196	107
(فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ)	209	45
(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا)	229	69
(فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ)	249	24

الفهارس:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا)	264	91
(وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ)	271	97
(وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ)	272	97
(وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ)	273	97
(فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ)	284	94

سورة آل عمران

(إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ)	05	104-94
(وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ)	21	62
(وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)	27	57
(قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ)	40	92
(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ)	42	104
(إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَم)	45	72
(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ)	47	72
(إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ)	51	104
(مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ)	52	29
(قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ)	73	95
(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ)	81	111
(قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا)	84	111-54
(وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ)	117	114
(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ)	126	116
(يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ)	129	94
(فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا)	137	51
(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ)	182	60

(جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ)	184	97
(لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا)	188	43

سورة النساء

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ)	13	100
(وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)	14	100
(فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ)	43	107
(وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ)	135	93
(لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ)	148	74
(إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ)	149	73

سورة المائدة

(وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)	03	91
(فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ)	06	107
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ)	08	93
(يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) فمن)	13	54
(قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً)	17	115-85
(يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ)	18	94-85
(أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ)	31	02
(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)	38	94
(يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ)	40	94
(يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)	41	54
(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)	44	85
(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)	45	85
(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)	47	85

سورة الأنعام

(فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ)	05	106
(أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ)	06	51
(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا)	11	51
(وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ)	19	49
(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كذبا)	21	82-49
(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ)	25	60
(قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ)	50	108
(فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى)	68	65
(وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)	69	65
(وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)	82	42
(قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً)	90	65
(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ)	93	61
(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى)	95	57
(فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً)	96	57
(مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ)	99	07
(وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ)	100	92
(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)	102	92
(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ)	112	75
(قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ)	135	100
(وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ)	136	75
(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ)	137	75
(أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)	145	110-91-74

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ)	151	62
(قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ)	161	96
(إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ)	165	96

سورة الأعراف

قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)	14	101
(قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ)	15	101
(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ)	43	113
(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ)	62	57
(فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ)	64	55
(وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)	66	58
(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ)	68	57
(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً)	73	58
(تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً)	74	98
(فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا)	78	59
(لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي)	79	58-57
(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ)	81	83-50
(وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا)	82	77-50
(لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ)	93	58
(وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ)	100	76
(فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا)	101	76-75
(وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا)	113	103
(قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ)	123	78
(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ)	160	114-68

(وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ)	161	99
(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم قَوْلاً)	162	70
(وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ)	165	96
(كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)	166	96
(إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ)	167	96
(وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ)	169	64-63
(يَسْأَلونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا)	187	88
(لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ)	188	88

سورة الأنفال

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى)	10	116
(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)	17	41
(تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا)	67	90
(لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ)	68	90
(فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً)	69	90
(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا)	72	90

سورة التوبة

(لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً)	08	79
(لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً)	10	79
(وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ)	16	90
(كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ)	19	90
(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا)	20	90
(وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى)	54	49
(فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ)	55	112-48
(إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا)	84	49

(وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ)	85	112-48
(وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ)	86	57
(وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)	87	56
(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ)	89	100
وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَايَعْلَمُونَ)	93	56
(وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ)	94	53
(فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ)	105	53

سورة يونس

(إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً)	04	78
(وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ)	11	62
(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ)	12	88-62
(كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ)	13	82
(فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ)	16	49
(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ)	17	82-49
(مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ)	18	88
(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)	31	57
(قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ)	38	98
(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ)	42	60
(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ)	48	89
(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً)	49	88
(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)	55	77
(وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ)	60	77
(وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ)	61	94
(فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ)	72	73

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ)	73	76-55
(فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ)	74	75
(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى)	75	76
(كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ)	103	72
(وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)	104	72

سورة هود

(وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ)	03	78
(إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ)	04	78
(قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ)	13	60
(فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا)	14	59
(إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ)	25	108
(وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ)	27	108
(لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ)	29	73
(وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ)	31	108
(إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ)	34	108
(وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ)	67	64-59
(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ)	77	102
(قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ)	81	103-102
(وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ)	31	108
(وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ)	93	100
(وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ)	94	64-59
(وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ)	95	65

سورة يوسف

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً)	22	118

(وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ)	104	65
(أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً)	107	64
(وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا)	109	63

سورة إبراهيم

(لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ)	18	91
(وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ)	38	94

سورة الرعد

(وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي)	02	52

سورة الحجر

(وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ)	35	64
(قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي)	36	101
(قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ)	37	101
(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ)	47	113
(قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ)	58	104
(إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ)	59	104
(إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ)	60	104
(فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ)	65	103
(يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا)	82	98

سورة النحل

(وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ)	14	89
(مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ)	28	71
(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا)	34	71
(فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا)	36	51
(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ)	61	76

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾	66	66
﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾	70	98
﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾	72	106-105
﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾	95	74
﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ ﴾	96	74
﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ﴾	111	71
﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾	115	110-91
﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾	119	71
﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾	126	115
﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾	127	115

سورة الإسراء

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ ﴾	09	82
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾	41	106
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾	88	02
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾	89	106-95
﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾	94	109

سورة الكهف

(وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُون)	02	82
(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ)	54	95
(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا)	55	109
(وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ)	56	53
(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ)	57	53
(فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا)	61	48
(وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا)	63	48
(قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ)	72	117
(أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ)	75	117

سورة مريم

(رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي)	04	92
(وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي)	05	92
(وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا)	08	92
(وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا)	14	85
(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ)	16	104
(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ)	19	72
(قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ)	20	72
(وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يجعلني جبارا)	32	85
(مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ)	35	104
(وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ)	36	104

سورة طه

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى)	11	71
(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ)	15	112

(فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)	41	61
(ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ)	42	61
(فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ)	44	61
(كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً)	51	83
(وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)	52	84
(بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ)	81	87
(لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا)	83	87

سورة النور

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ)	58	63
(وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ)	59	63
(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ)	61	63

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)	41	61
(ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِين)	42	61
(فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ)	44	61
(كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً)	51	83
(وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)	52	84
(بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ)	81	87
(لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا)	83	87

سورة النور

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ)	58	63
(وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُم)	59	63
(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ)	61	63

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الشعراء

(وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ)	05	73
(فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ)	06	106
(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)	09	73
(فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ)	41	103
(قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ)	49	78
(إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ)	50	117
(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ)	70	117
(قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ)	71	117
(وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ)	109	73
(وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً)	149	98
(فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)	179	58
(وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ)	184	58

سورة النمل

(فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ)	08	102-101-71
(وَأَلْقِ عَصَاكَ)	10	109-101
(وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)	53	56
(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)	55	83-50
(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ)	56	78-50
(فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ)	57	56
(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً)	58	56
(وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)	60	56
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا)	67	87
(لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا)	68	87
(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ)	69	51

(وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ)	70	115
(إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنَا)	81	72
(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ)	87	70
(وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ)	89	70
(وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)	91	72

سورة القصص

(إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ)	07	69
(فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ)	13	69
(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى)	14	118
(سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)	27	84
(أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ)	30	101
(وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ)	31	109-101
(فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ)	50	59
(وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ)	82	108

سورة العنكبوت

(وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ)	06	52
(وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)	07	103
(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً)	08	103-52
(يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ)	21	93
(وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ)	33	102
(وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ)	22	113
(وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا)	60	108
(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ)	62	108
(أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ)	67	105

سورة الروم

(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ)	08	50
(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا)	09	50
(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)	19	57
(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا)	42	51
(وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا)	46	104

سورة لقمان

(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)	13	42
(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ)	14	103
(وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ)	15	52
(وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ)	17	116
(وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ)	22	52
(مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ)	28	52
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ)	29	52
(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ)	30	105
وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ)	33	52

سورة السجدة

(وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ)	12	53
(يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا)	16	88
(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا)	18	54
(وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ)	20	65
(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ)	22	53

سورة الأحزاب

(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)	35	26
(إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ)	54	74-73

(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ)	60	74

سورة سبأ

(وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)	11	83
(وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً)	35	114
(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ)	36	113
(إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً)	37	114
(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ)	39	114
(وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا)	42	65

سورة فاطر

(وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ)	12	89
(وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الذين)	25	97
(فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا)	27	66
(وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ)	28	66
(إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ)	31	97
(إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ)	34	97
(وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)	43	50
(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا)	44	77-50
(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا)	45	76

سورة الصافات

(فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ)	33	111
(إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)	34	111
(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ)	85	117
(أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ)	86	117
(فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)	87	117
(سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)	102	84

سورة ص

(لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)	75	64
(وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)	78	64
(قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)	79	101
(قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ)	80	101

سورة الزمر

(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ)	08	62
(قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ)	11	62
(قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي)	14	62
(ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)	24	72
(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)	30	70
(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)	33	74
(وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي)	35	74
(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا)	48	71
(فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)	50	72
(سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا)	51	72
(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ)	68	70
(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ)	71	112
(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ)	73	112

سورة غافر

(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا)	21	50
(لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ)	57	92-77
(إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا)	59	112-77
(إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ)	61	77
(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)	62	92

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ)	78	81
(فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ)	81	50
(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا)	82	50
(وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)	85	81

سورة فصلت

(وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ)	12	56
(وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)	18	56
(وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ)	25	56

سورة الشورى

(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ)	23	97
(إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ)	27	97
(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ)	30	113
(وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ)	31	113
(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ)	43	116

سورة الزخرف

(وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)	14	117
وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ)	19	81
(مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ)	20	81
(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ)	22	84
(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ)	23	84
(وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ)	58	105
(إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ)	64	105-104
(وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا)	72	59
(لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ)	73	59

سورة الجاثية

(لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فيه بِأَمْرِه)	12	107
(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا)	24	81
(الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)	28	71
(إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)	29	71
(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)	30	71
(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا)	33	71

سورة الفتح

(قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)	11	115

سورة المجادلة

(الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ)	02	114
(وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ)	03	114
(وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)	04	82
(وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ)	05	82
(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)	20	82

سورة الحشر

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)	13	79
(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ)	14	80-79

سورة الممتحنة

(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)	04	65
(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)	06	65

سورة الصف

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ)	07	61

سورة التغابن

(ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ)	06	110

(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا)	07	110
(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً)	09	110

سورة المنافقون

(وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ)	07	80
(وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ)	08	80

سورة الطلاق

(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً)	11	110

سورة القلم

(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)	04	38

سورة المرسلات

(ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ)	17	111
(كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)	18	111

سورة التكوير

(وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)	06	80
(وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ)	12	80

سورة الانفطار

(وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ)	02	81
(وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ)	03	80
(وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ)	04	81

سورة الانشقاق

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ)	22	83

سورة البروج

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ)	19	83

سورة الغاشية

(أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)	17	36

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ)	18	36
(وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)	19	36
(وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)	20	36

سورة البلد

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)	04	83

سورة التين

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)	04	83

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأبيات الشعرية:

صدر البيت الشعري	اسم الشاعر	البحر	الصفحة
وكنتُ ابن عمٍّ بـــاذلا فوجدتكم	ـــــ	الطويل	19
كـــلّ شيءٍ مـــا خـــلا الله جللْ	لبيـــد	الرمـــل	20
تقولُ- وصكّت وجهها بيمينها-	ـــــ	الطويل	25
أسكرانُ كان ابنَ المراغة إذ هجا	الفرزدق	الطويل	27
فإنْ نلت مـــا أمّلتُ منك فربّما	المتنـــبّي	الطويل	34

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات: الصفحة

مقدمة.....أ

مدخل: إعجاز النظم وعلاقته بمتشابهات القرآن.....01

الفصل الأول: السياق في التراث العربي.....13

المبحث الأول: السياق عند اللغويين.....14

المبحث الثاني: السياق عند النحـــاة.....23

المبحث الثالث: السياق عند البلاغيين.....30

المبحث الرابع: السياق عند المفسرين.....39

الفصل الثاني: أثر السياق في البنية الإفرادية.....47

المبحث الأول: المتغيرات الصرفية.....48

1 - الأداة.....48

2 - الصيغة.....55

3 - العدد.....58

4 - التعيين.....61

5- النوع.....64

المبحث الثاني: المتغيرات المعجمية.....68

1- إبدال فعل بفعل.....68

2- إبدال اسم باسم.....72

3- إبدال اسم بضمير.....75

4 - اختلاف الفاصلة.....79

الفصل الثالث: أثر السياق في البنية التركيبية.....86

المبحث الأول: التقديم و التأخير.....87

1 - السياق اللغوي.....87

أ - تقديم كلمة على كلمة.....87

ب- تقديم كلمة على شبه جملة.....89

ج - تقديم شبه جملة على شبه جملة.....90

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

د - تقديم جملة على جملة 91
2 - سياق الحال (المقام)..... 93
أ - المخاطَب..... 93
ب - أسباب النزول..... 94
المبحث الثاني: الحذف و الذكر..... 96
1 - السياق اللغوي..... 96
أ - حذف حرف..... 96
ب- حذف كلمة..... 103
ج- حذف شبه جملة..... 106
د - حذف جملة..... 109
2 - سياق الحال (المقام)..... 111
أ - المخاطَب..... 111
ب- أسباب النزول..... 115
ج - الموقف..... 116
الخاتمة..... 119
قائمة المصادر والمراجع..... 122
الفهارس..... 128
فهرس الآيات القرآنية..... 129
فهرس الأبيات الشعرية..... 151
فهرس الموضوعات..... 152

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية